

❖ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ<sup>٤</sup> وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ<sup>٥</sup> وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ

مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ<sup>٦</sup>

وَوَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ

فَيَبْئُوسُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَدْقَنَهُ رَحْمَةٌ مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّنَتْهُ

لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ

لَلْحُسْنَىٰ<sup>٧</sup> فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

وَلِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ

مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ<sup>٨</sup> أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ

أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيدَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ<sup>٩</sup>

أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

❖ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۖ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ

مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ

وَوَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾

هذا إخبار عن سعة علمه تعالى و اختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه

فقال: (إِلَيْهِ يُرَدُّ)

\*يُرْجَع

(عِلْمُ السَّاعَةِ)

أي: جميع الخلق ترد علمهم إلى الله تعالى، و يقرون بالعجز عنه، الرسل،  
و الملائكة، و غيرهم.

\*\*\*كَمَا قَالَ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الْبَشَرِ لِحَبْرَيْلَ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الْمَلَائِكَةِ -

حِينَ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ

فَقَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ

وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا} [النَّازِعَاتِ: ٤٤]

وَ قَالَ {لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ} [الأَعْرَافِ: ١٨٧] .

(وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا)

أي: وعائها الذي تخرج منه،

و هذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان و البراري،

فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار، إلا و هو يعلمها علما تفصيليا.

(وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ)

من بني آدم و غيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه

(وَلَا تَضَعُ)

أنثى حملها

(إِلَّا بِعِلْمِهِ<sup>٤</sup>)

فكيف سؤى المشركون به تعالى، من لا علم عنده و لا سمع و لا بصر؟

\*\*\* وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} [الأنعام: ٥٩]

وَ قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: {يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: ٨]

وَ قَالَ {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ} [فاطر: ١١]

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ)

\*الميسر: ينادي الله (المشركين به يوم القيامة توبيخاً و إظهاراً لكذبهم)

فيقول لهم: (أَيْنَ شُرَكَاءِي)

الذين زعمتم أنهم شركائي، فعبدتموهم،

و جادلتم على ذلك، و عاديتهم الرسل لأجلهم؟

(قَالُوا)

مقرين ببطلان إلهيتهم، و شركتهم مع الله:

(ءَاذَنَّاكَ)

أي: أعلمناك يا ربنا،

(مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ)

و اشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم و شركتهم،

فكلنا الآن قد رجعنا إلى بطلان عبادتها، و تبرأنا منها،

و لهذا قال:- (وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ<sup>ط</sup>)

من دون الله، أي:-

ذهبت عقائدهم و أعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة غير الله،

و ظنوا أنها تفيدهم، و تدفع عنهم العذاب، و تشفع لهم عند الله

فخاب سعيهم، و انتقض ظنهم، و لم تغن عنهم شركاؤهم شيئاً

(وَوَظَنُوا)

أي:- أيقنوا في تلك الحال

(مَا لَهُمْ مِنْ نَاجِيٍّ)

أي: منقذ ينقذهم، و لا مغيث، و لا ملجأ،

فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به.

\*\*\*كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا}

[الكهف: ٥٣]

لَا يَسْتَعِثُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتَوْسَّلُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾

وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ

قَائِمَةً وَلَيْنَ تُرْجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ

أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، و عدم صبره و جلده،

لا على الخير و لا على الشر

إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال،

فقال:- (لَا يَسْتَعِثُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ )

\*الميسر:الدينيوي

○أي: لا يمل دائماً، من دعاء الله، في الغنى و المال و الولد،

و غير ذلك من مطالب الدنيا، و لا يزال يعمل على ذلك،

و لا يقتنع بقليل، و لا كثير منها،

لو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة.

(وَلَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ)

أي: المكروه، كالمرض، و الفقر، و أنواع البلى

(فَيَتُوسَّ قَنُوطٌ)

\*الميسر: بسوء الظن بربه.

○ أي: ييأس من رحمة الله تعالى،

و يظن أن هذا البلاء هو القاضى عليه بالهلاك،

و يتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب و يطلب.

إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات،

فإنهم إذا أصابهم الخيرو و النعمة و المحاب:-

١- شكروا الله تعالى،

٢- و خافوا أن تكون نعم الله عليهم [استدراجاً و إمهالاً]

و إن أصابتهم مصيبة، في أنفسهم و أموالهم، و أولادهم:-

صبروا، و رجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا.

ثم قال تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ)

أي: الإنسان الذي يسأم من دعاء الخير، و إن مسه الشر فيتوس قنوط

(رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ)

أي: بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى، و يطغى،

و يقول: (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي )

أي: أتاني لأني له أهل، و أنا مستحق له

(وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً )

و هذا إنكار منه للبعث، و كفر للنعمة و الرحمة، التي أذاقها الله له.

(وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي )

أي:-على تقدير إتيان الساعة،و أني سأرجع إلى ربي

(إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ )

فكما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل لي في الآخرة  
و هذا من أعظم الجراءة و القول على الله بلا علم فلهذا توعدده بقوله:-

(فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ )

أي: شديد جداً.

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ )

بصحة، أو رزق، أو غيرهما

(أَعْرَضَ )

عن ربه و عن شكره

(وَنَنَا )

ترفع

(بِحَاجَتِهِ )

عجبا و تكبرا

(وَلِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ )

أي: المرض، أو الفقر، أو غيرهما

(فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ )

أي: كثير جدا، لعدم صبره،

فلا صبر في الضراء، و لا شكر في الرخاء، إلا من هداه الله و مَنْ عَلَيْهِ.

\*\*\*يُطِيلُ الْمَسْأَلَةَ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ

فَالْكَلَامُ الْعَرِيضُ:-

مَا طَالَ لَفْظُهُ وَ قَلَّ مَعْنَاهُ،

وَ الْوَجِيزُ: عَكْسُهُ، وَ هُوَ: مَا قَلَّ وَ دَلَّ

وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى:- {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ } [يُونُس: ١٢]

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ

مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾



أَلَا إِنَّمَا فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

أي ( قُل )

لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران

( أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ )

هذا القرآن

( مِنْ عِنْدِ اللَّهِ )

من غير شك و لا ارتياب،

( ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِّنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ )

أي: معاندة لله و لرسوله، لأنه تبيين لكم الحق و الصواب،

ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل و جهل،

فإذا تكونون أضل الناس و أظلمهم.

( سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ )

فإن قلتم، أو شككتم بصحته و حقيقته، فسيقيم الله لكم،

و يريكم من آياته في الآفاق كآيات التي في السماء و في الأرض،

و ما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

\*\*\* مِنَ الْفُتُوحَاتِ وَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقَالِيمِ وَ سَائِرِ الْأَدْيَانِ.

قَالَ السُّدِّيُّ: وَ دَلَائِلُ فِي أَنْفُسِهِمْ،

قَالُوا: وَقَعَةُ بَدْرٍ، وَ فَتْحُ مَكَّةَ،

وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ، نَصَرَ اللَّهُ فِيهَا مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ،  
وَ خَذَلَ فِيهَا الْبَاطِلَ وَ حِزْبَهُ.

(وَفِي أَنْفُسِهِمْ )

مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله و عجائب صنعته،

و باهر قدرته

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا الْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُ وَ فِيهِ  
وَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ وَ الْأَخْلَاطِ وَ الْهَيْئَاتِ الْعَجِيبَةِ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ  
التَّشْرِيحِ الدَّالِّ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى.

○ وَ كَذَلِكَ مَا هُوَ مَجْبُولٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنْ حَسَنِ وَ قَبِيحٍ  
وَ بَيْنَ ذَلِكَ،

○ وَ مَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ، وَ قُوَّتِهِ،  
وَ حِيلِهِ، وَ حَذَرِهِ أَنْ يَجُوزَهَا، وَ لَا يَتَعَدَّهَا،

○ وَ فِي حُلُولِ الْعُقُوبَاتِ وَ الْمَثَلَاتِ فِي الْمَكْذِبِينَ، وَ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ

(حَقَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ )

من تلك الآيات، بيانا لا يقبل الشك

(أَنَّهُ الْحَقُّ )

و ما اشتمل عليه حق.

و قد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين لهم أنه الحق

و لكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، و الخاذل لمن يشاء.

**(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)**

فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى.

○ أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، و من جاء به صادق بشهادة الله تعالى؟

فإنه قد شهد له بالتصديق، و هو أصدق الشاهدين، و أيده، و نصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية، عند من شك فيها.

\*\*\*كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ وَ أَقْوَالِهِمْ،  
وَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، كَمَا قَالَ:  
{لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ}  
[النساء: ١٦٦] .

**(أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ)**

شك

**(مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ)**

من البعث و القيامة،

و ليس عندهم دار سوى الدار الدنيا،  
فلذلك لم يعملوا للآخرة، و لم يلتفتوا لها.

**(أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ)**

علمًا و قـدرة و عـزة  
تم تفسير سورة فصلت - بمنه تعالى -

## ٤٢- سورة الشورى- مكية- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝١ عَسَى ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

۝٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ

يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝٦

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ

لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

۝٩ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ ۖ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠

## تفسير سورة الشورى - مكية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حَمْدٌ ① عَسَقَ ②) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ )

يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي الكريم،

كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء و المرسلين،

ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، و إرسال الرسل، سابقا و لاحقا،

و أن محمدا ﷺ ليس ببدع من الرسل،

و أن طريقته طريقة من قبله، و أحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين.

و ما جاء به يشابه ما جاءوا به، لأن الجميع حق و صدق،

(اللَّهُ الْعَزِيزُ)

\*\*\* في انتقامه،

(الْحَكِيمُ)

\*\*\* في أقواله و أفعاله

○ و هو تنزيل من اتصف بالألوهية و العزة العظيمة و الحكمة البالغة،

(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

و أن جميع العالم العلوي و السفلي ملكه و تحت تدبيره القدري و الشرعي.

(وَهُوَ الْعَلِيُّ)

بذاته و قدره و قهره.

(الْعَظِيمُ)

\*\*\*كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى} [الرَّعْدُ: ٩]

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سَبَأٌ: ٢٣]

○ الذي من عظمته

(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ)

\*الميسر:- يتشقَّقْنَ

\*\*\*فَرَقًا مِنَ الْعَظَمَةِ

(من فوقهنَّ)

على عظمها و كونها جمادا

(وَالْمَلَكَةُ)

الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مدعون بربوبيته.

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)

و يعظمونه عن كل نقص، و يصفونه بكل كمال

(وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ)

عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم و كبريائه

(أَلَا إِنَّ اللَّهَ)

مع أنه تعالى

(هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ )

الذي لولا مغفرته و رحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة.  
و في وصفه تعالى بهذه الأوصاف،

○ بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموما و إلى محمد -صلى الله  
عليهم أجمعين- خصوصا:

إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة و البراهين،  
و الآيات الدالة على كمال الباري تعالى،

و وصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته و محبته  
و تعظيمه و إجلاله و إكرامه،

و صرف جميع أنواع العبودية الظاهرة و الباطنة له تعالى،  
و أن من أكبر الظلم و أفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه،

ليس بيدهم نفع و لا ضرر

بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم، و لهذا عقبه بقوله:-

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ )

يتولونهم بالعبادة و الطاعة، كما يعبدون الله و يطيعونه،  
فإنما اتخذوا الباطل، و ليسوا بأولياء على الحقيقة.

(اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ )

يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها و شرها.



(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)

فتسأل عن أعمالهم، و إنما أنت مبلغ أديت وظيفتك.

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ )

ثم ذكر منته على رسوله و على الناس، حيث أنزل الله

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا )

بين الألفاظ و المعانى

(لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى )

و هي مكة المكرمة

(وَمَنْ حَوْلَهَا )

من قرى العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق.

\*\*\*مَنْ سَائِرِ الْبِلَادِ شَرْقًا وَ غَرْبًا،

وَ سُمِّيَتْ مَكَّةُ "أُمُّ الْقُرَى"؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ،

لِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ مَذْكُورَةٍ فِي مَوَاضِعِهَا.

وَ مِنْ أَوْجَزِ ذَلِكَ وَ أَدْلُهُ مَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ

مسند أحمد ط الرسالة:-

١٨٧١٥ - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ

وَ هُوَ وَقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ:

وَ اللَّهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَ أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَ لَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ "

(وَتُنذِرُ)

الناس

(يَوْمَ الْجَمْعِ)

الذي يجمع الله به الأولين و الآخرين،

و تخبرهم أنه (لَا رَيْبَ فِيهِ)

و أن الخلق ينقسمون فيه فريقين

(فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ)

و هم الذين آمنوا بالله، و صدقوا المرسلين،

(وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)

و هم أصناف الكفرة المكذبين.

\*\*\*مسند أحمد ط الرسالة

١٧٥٩٣ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ وَ هُوَ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟

أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقْرِهُ حَتَّى تَلْقَانِي؟

قَالَ: بَلَى، وَ لَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

إِنَّ اللَّهَ قَبْضُ بِيَمِينِهِ قَبْضَةٌ، وَ أُخْرَى بِالْيَدِ الْأُخْرَى،

وَ قَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَ هَذِهِ لِهَذِهِ، وَ لَا أَبَالِي

فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا

(و) مع هذا

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ )

لجعل الناس

(أُمَّةً وَاحِدَةً )

على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء،

(وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ )

و لكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه

(وَالظَّالِمُونَ )

و أما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة،

ف—(مَا لَهُمْ )

من دون الله

(مِنْ وَلِيِّ )

يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب

(وَلَا نَصِيرَ )

يدفع عنهم المكروه.

(أَمَّا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ )

يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط

(قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ)

الذي يتولاه عبده بعبادته و طاعته،

و التقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات

و يتولى عباده عموما بتدبيره، و نفوذ القدر فيهم

و يتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور،

و تربيتهم بلطفه، و إعانتهم في جميع أمورهم.

(وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

أي: هو المتصرف بالإحياء و الإماتة، و نفوذ المشيئة و القدرة،

فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

يقول تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ)

من أصول دينكم و فروعه، مما لم تتفقوا عليه

\*\*\*مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ وَ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ

(فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)

يرد إلى كتابه، و إلى سنة رسوله، فما حكما به فهو الحق،

و ما خالف ذلك فباطل.

\*\*\*أي: هُوَ الْحَاكِمُ فِيهِ بِكِتَابِهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ  
كَقَوْلِهِ: {فَإِنْ تَنَارَ عِثْمٌ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النِّسَاء: ٥٩] . .

(ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي)

أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر،  
فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم.  
و مفهوم الآية الكريمة: -

أن اتفاق الأمة حجة قاطعة،

لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه  
فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة عن الخطأ  
و لا بد أن يكون اتفاقها موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله.

و قوله: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ)

أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع و دفع المضار،  
واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك

(وَالَيْهِ أُنِيبُ)

أي: أتوجه بقلبي و بدني إليه، و إلى طاعته و عبادته.  
و هذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما  
كمال العبد، و يفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)  
و قوله: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ )

فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا  
يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾  
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ \* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا  
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي  
إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ  
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا  
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ  
كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ  
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ  
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا  
يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾  
(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

أي: خالقهما بقدرته و مشيئته و حكمته

(جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)

لتسكنوا إليها، و تنتشر منكم الذرية، و يحصل لكم من النفع ما يحصل.

(وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا)

أي: و من جميع أصنافها نوعين، ذكرا و أنثى، لتبقى و تنمو لمنافعكم الكثيرة،  
و لهذا عداها باللام الدالة على التعليل،

أي: جعل ذلك لأجلكم، و لأجل النعمة عليكم،

و لهذا قال:-(يَذَرُوكُمْ فِيهِ)

أي:- يترككم و يتركهم و يكثر مواشيكم

بسبب أن جعل لكم من أنفسكم و جعل لكم من الأنعام أزواجا.

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

أي: ليس يشبهه تعالى و لا يماثله شيء من مخلوقاته،

لا في ذاته، و لا في أسمائه، و لا في صفاته، و لا في أفعاله



لأن أسماءها كلها حسنى، و صفاته صفة كمال و عظمة،  
و أفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك،  
فليس كمثله شيء، لانفراده و توحده بالكمال من كل وجه.

(وَهُوَ السَّمِيعُ)

لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

(الْبَصِيرُ)

يرى ديبب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء،  
و يرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا،  
و سريان الماء في الأغصان الدقيقة.

و هذه الآية و نحوها، دليل لـ:—

مذهب أهل السنة و الجماعة، مـن:—

١- إثبات الصفات،

٢- و نفي مماثلة المخلوقات

٣- و فيها رد على المشبهة في قوله: ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ )

و على المعطلة في قوله: ( وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )

و قوله:—(لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط )

أي: له ملك السماوات و الأرض،

و بيده مفاتيح الرحمة و الأرزاق، و النعم الظاهرة و الباطنة.

فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم،  
 و دفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء.  
 و الله تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع،  
 الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، و لا يدفع الشر إلا هو،  
**(وَمَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)**

و لهذا قال هنا: **(يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)**  
 أي: يوسعه و يعطيه من أصناف الرزق ما شاء  
**(وَيَقْدِرُ<sup>٤</sup>)**

أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها  
 و كل هذا تابع لعلمه و حكمته،

فلهذا قال: **(لَأنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**  
 فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته و تقتضيه مشيئته.

❖ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** ﴿١٣﴾

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى )

هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان و أفضلها، و أزكاها و أطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده،

بل شرعه الله لخيار الخيار، و صفوة الصفوة، و هم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، و أكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله و اصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولاً الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، و قطب رحى الكمال، و هو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم،

و دعا إليه من التوحيد و الأعمال و الأخلاق و الآداب.

\*\*\*فَذَكَرَ أَوَّلَ الرُّسُلِ بَعْدَ آدَمَ وَ هُوَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ آخِرَهُمْ وَ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ وَ هُمْ: -

إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَ هَذِهِ الْآيَةُ انْتَضَمَتْ ذَكَرَ الْخَمْسَةِ كَمَا اشْتَمَلَتْ آيَةُ "الْأَحْزَابِ" عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الْآيَةِ [الْأَحْزَاب: ٧] .

وَ الدِّينُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ كُلُّهُمْ هُوَ:-  
عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

كَمَا قَالَ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥] .

و فِي الْحَدِيثِ: "نَحْنُ مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ دِينَنَا وَاحِدٌ"  
أَي: الْقَدَرُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
وَ إِنْ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ وَ مَنَاهِجُهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:  
{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [الْمَائِدَةِ: ٤٨]

و لهذا قال:- {أَنْ أَقِيمُوا}

أَي: أَمْرُكُمْ أَنْ تَقِيمُوا جَمِيعَ شَرَائِعِ

(الَّذِينَ)

أَصُولُهُ وَ فُرُوعُهُ

تَقِيمُونَهُ بِأَنْفُسِكُمْ، وَ تَجْتَهِدُونَ فِي إِقَامَتِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ،

وَ تَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُونَ عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ

(وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ )

أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين و فروعها،  
و احرصوا على أن لا تفرقكم المسائل و تحزبكم أحزابا،  
و تكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

و من أنواع الاجتماع على الدين و عدم التفريق فيه:-

ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد  
و الجمع والصلوات الخمس و الجهاد،  
و غير ذلك من العبادات التي لا تتم و لا تكمل إلا بـ:-

١- الاجتماع لها

٢- و عدم التفريق.

(كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ )

أي: شق عليهم غاية المشقة

( مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ )

حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده

كما قال عنهم: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)

و قولهم:- (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ)

(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ )

أي يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتماع لرسالته و ولايته  
و منه أن اجتبي هذه الأمة و فضلها على سائر الأمم،  
و اختار لها أفضل الأديان و خيرها.

(وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ )

هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، و هو إنابته لربه  
و انجذاب دواعي قلبه إليه، و كونه قاصدا وجهه،  
فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها،  
كما قال تعالى:-

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ )

و في هذه الآية، أن الله (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ )

مع قوله: (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَن أَنَابَ إِلَيَّ)

مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، و شدة إنابتهم، دليل على:-  
أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين.

وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ<sup>ع</sup> وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ  
رَبِّكَ إِلَيْنَا لَأَجْلُ مُسَمَّى لَفَضَى بَيْنَهُمْ<sup>ع</sup> وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ<sup>ط</sup> وَاسْتَقِمْ<sup>ط</sup> كَمَا أُمِرْتَ<sup>ط</sup>

وَلَا تَنبَغْ أَهْوَاءُهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ  
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ )

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم و نهاهم عن التفرق:-  
أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب،  
فإن أهل الكتاب لم يتفارقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع،  
ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم،

و ذلك كله (بَغِيًّا بَيْنَهُمْ )

و عدوانا منهم، فإنهم تباغضوا و تحاسدوا،  
و حصلت بينهم المشاحنة و العداوة، فوقع الاختلاف،  
فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ )

أي: بتأخير العذاب القاضي

(إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ )

\*الميسر:- بتعجيل عذاب الكافرين منهم

○ و لكن حكمته و حلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم

(وَلَيْنَ الَّذِينَ أُوْرِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ )

\*\*\*الْجِيلَ الْمُتَأَخَّرَ بَعْدَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْمَكْذَبِ لِلْحَقِّ

○أى:-الذين ورثوهم و صاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم

(لَفِي شَكِّ مَنْهُ مُرِيبٌ )

أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا و عنادا،  
فإن خلفهم اختلفوا شكا و ارتيابا،  
و الجميع مشتركون في الاختلاف المذموم.

(فَلِذَلِكَ )

أي: فللذين القويم و الصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه و أرسل رسله،

(فَادَعُ )

إليه أمتك و حضهم عليه، و جاهد عليه، من لم يقبله،

(وَأَسْتَقِمَّ )

بنفسك

(كَمَا أُمِرْتُ )

أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط و لا إفراط  
بل امتثالا لأوامر الله و اجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك،



فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.  
و من المعلوم أن أمر الرسول ﷺ لأمره إذا لم يرد تخصيص له.

**(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)**

أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة و المنافقين  
إما باتباعهم على بعض دينهم،  
أو بترك الدعوة إلى الله،  
أو بترك الاستقامة،

فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين،  
و لم يقل: « **وَلَا تَتَّبِعْ دِينَهُمْ** » لأن :-

حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم،  
و لكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، و اتخذوا دينهم لهوا و لعبا.

**(وَقُلْ)**

لهم عند جدالهم و مناظرتهم:-

**(ءَاَمَنْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)**

أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم  
الдал على شرف الإسلام و جلالته و هيمنته على سائر الأديان،  
و أن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام،

و في هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، و الرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن و بمن جاء به، فكتابتنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى و عيسى و التوراة و الإنجيل، التي أخبر بها و صدق بها، و أخبر أنها مصدقة له و مقرة بصحته. و أما مجرد التوراة و الإنجيل، و موسى و عيسى، الذين لم يوصفوا لنا، و لم يوافقوا لكتابتنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم.

و قوله: **(وَأْمَرْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ)** ط

أى: في الحكم فيما اختلفتم فيه،

فلا تمنعني عداوتكم و بغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، و من العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب و غيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، و يرد ما معهم من الباطل

**(اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ)** ط

أى: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا.

**(لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ)** ط

من خير و شر

\*\*\*كَمَا قَالَ تَعَالَى:- {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ  
مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يُونُسَ: ٤١]

(لَا حُجَّةَ)

\*\*\*لا خصومة

\*\*\*قَالَ السُّدِّيُّ: وَ ذَلِكَ قَبْلَ نَزُولِ آيَةِ السَّيْفِ.  
وَ هَذَا مُتَجَهٌّ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ،

(يَبَيِّنُنَا وَيَبَيِّنُكُمْ)

أى: بعد ما تبينت الحقائق، و اتضح الحق من الباطل، و الهدى من الضلال،  
لم يبق للجدال و المنازعة محل لأن:-

المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل،  
ليهتدي الراشد، و لتقوم الحجة على الغاوي،

و ليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف و الله يقول:-

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

و إنما المراد ما ذكرنا.

(اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا)

يوم القيامة

(وَرَأَيْتِهِ الْمَصِيرُ)

فيحزي كلا بعمله، و يتبين حينئذ الصادق من الكاذب.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، جُنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ  
يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ  
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ  
نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ  
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ  
اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ  
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، جُنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

و هذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا و بينكم،

فأخبر هنا أن (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ)

بالحجج الباطلة، و الشبه المتناقضة

(مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ،)

أى: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب و العقول

لما بين لهم من الآيات القاطعة، و البراهين الساطعة

فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين

(مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ)

أي: باطلة مدفوعة

(عِنْدَ رَبِّهِمْ)

لأنها مشتملة على رد الحق و كل ما خالف الحق، فهو باطل.

(وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ)

لعصيانهم و إعراضهم عن حجج الله و بيناته و تكذيبها.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)

هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل.

\*\*\*جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ،

لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى وَ طَمَعُوا أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ.

وَ قَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى، قَالُوا لَهُمْ: -

دَيْنًا خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ، وَ بَيْنًا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ، وَ نَحْنُ خَيْرٌ مِنْكُمْ،  
وَ أُولَىٰ بِاللَّهِ مِنْكُمْ. وَ قَدْ كَذَبُوا فِي ذَلِكَ.

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

لما ذكر تعالى أن حججه واضحة بينة، بحيث استجاب لها كل من فيه خير،  
ذكر أصلها و قاعدتها، بل جميع الحجج التي أوصلها إلى العباد،

فقال: ( اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ )

فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نـزل

( بِالْحَقِّ )

و اشتمل على الحق و الصدق و اليقين،

و كله آيات بينات، و أدلة واضحة، على:-

١- جميع المطالب الإلهية

٢- العقائد الدينية

فجاء بأحسن المسائل و أوضح الدلائل.

و أما ( وَالْمِيزَانَ )

\*\*\*الانصاف

○ فهو العدل و الاعتبار بالقياس الصحيح و العقل الرجيح،

فكل الدلائل العقلية، من:-

الآيات الآفاقية و النفسية، و الاعتبارات الشرعية،  
و المناسبات و العلل، و الأحكام و الحكم-  
داخلية في الميزان الذي أنزله الله تعالى و وضعه بين عباده،

ل:-

١- يـزنوا به ما اشتبه من الأمور

٢- و يعرفوا به صدق ما أخبر به و أخبرت رسله،

مما خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب و الميزان مما قيل إنه حجة أو برهان  
أو دليل أو نحو ذلك من العبارات،

فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، و انهدمت مبانيه و فروعه،

يعرف ذلك من خبر المسائل و مأخذها،

و عرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها،

و الفرق بين الحجج و الشبه،

و أما من اغتر بالعبارات المزخرفة، و الألفاظ المموهة،

و لم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد،

فإنه ليس من أهل هذا الشأن و لا من فرسان هذا الميدان فواقه و خلافه

سيان

\*\*\* وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]

وَقَوْلُهُ:- {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَا تَتَّعَفُونَ فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرَّحْمَنُ: ٧-٩] .

○ ثم قال تعالى مخوفا للمستعجلين لقيام الساعة المنكرين لها فقال:-

(وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ )

أى- ليس بمعلوم بعدها، و لا متى تقوم،  
فهى فى كل وقت متوقع وقوعها، مخوف وجبتها.

(يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا )

عنادا و تكديبا و تعجيزا لربهم (و كفرا و استبعادا)

\*\*\*يقولون {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سَبَأٌ: ٢٩]

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا )

أى: خائفون لإيمانهم بها و علمهم بما تشتمل عليه من: -

١- الجزاء بالأعمال،

٢- و خوفهم لمعرفة ربهم:-

أن لا تكون أعمالهم منجية لهم و لا مسعدة،

و لهذا قال:- (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ )

الذى لا مزية فيه، و لا شك يعتربه

(أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ )



\*الميسر: يخاصمون

( في )

\*قيام

(السَّاعَةِ)

أى: بعد ما امتروا فيها، ماروا الرسل و أتباعهم بإثباتها

(لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)

فهم في شقاق بعيد، أى: معاندة و مخاصمة غير قريبة من الصواب،

بل في غاية البعد عن الحق،

\*\*\*فِي جَهْلٍ بَيْنَ لَأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ  
بِطَرِيقِ الْأَوَّلَىٰ وَالْآخَرَىٰ، كَمَا قَالَ:

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّوم: ٢٧]

○ و أيُّ بعد أبعد ممن كذب بالدار التي هي الدار على الحقيقة،

و هي الدار التي خلقت للبقاء الدائم و الخلود السرمد،

و هي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله و فضله

و إنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل و تركها،

و هي دار عبور و ممر، لا محل استقرار.

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها و شاهدوها،

و كذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية

و الرسل الكرام و أتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولا و أغزرهم علما،

و أعظمهم فطنة و فهما.

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا

نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

(اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ )

يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه و يحبوه،

و يتعرضوا للطفه و كرمه، و اللطف من أوصافه تعالى معناه: -

الذي يدرك الضمائر و السرائر

الذي يوصل عباده- و خصوصا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم

من حيث لا يعلمون و لا يحتسبون.

فَمَنْ لَطَفَهُ بَعْدَهُ الْمَوْمِنُ:-

أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله بما يسر له من الأسباب الداعية

إلى ذلك مَوْمِنُ:-

١- فطرته على محبة الحق و الانقياد له

٢- و إيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن :-

يشتوا عباده المؤمنين، و يحثوهم على الخير،

و يلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

٣- و من لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية

التي بها تقوى عزائمهم و تنبعث همهم،  
و يحصل منهم التنافس على الخير و الرغبة فيه،  
و اقتداء بعضهم ببعض

٤- و من لطفه أن قيض لعبده كل سبب يعوقه و يحول بينه و بين المعاصي  
حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا و المال و الرياسة و نحوها مما يتنافس فيه  
أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته  
أو تحمله على الغفلة عنه،

أو على معصية [صـرفها عنه، و قـدر عليه رزقه]

و لهذا قال هنا: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ<sup>ط</sup>)

بحسب اقتضاء حكمته و لطفه

(وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ<sup>ط</sup>)

الذي له القوة كلها، فلا حول و لا قوة لأحد من المخلوقين إلا به،  
الذي دانت له جميع الأشياء.

ثم قال تعالى:- (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ<sup>ط</sup>)

أي: أجرها و ثوابها، فآمن بها و صدق، و سعى لها سعيها

(نَزِدْ لَهُ<sup>ط</sup> فِي حَرْثِهِ<sup>ط</sup>)

بأن نضاعف عمله و جزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى:

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)

و مع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.

**(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا )**

\*الميسر: و من كان يريد بعمله الدنيا وحدها

○بأن: كانت الدنيا هي مقصوده و غاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته،

و لا رجا ثوابها، و لم يخش عقابها

**(تُؤْتِيهِ مِنْهَا )**

نصيبه الذي قسم له

**(وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ )**

قد حرم الجنة و نعيمها، و استحق النار و جحيمها.

و هذه الآية، شبيهة بقوله تعالى :-

**(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا**

**يُبْخَسُونَ) إلى آخر الآيات.**

\*\*\*وَمَنْ كَانَ إِهْمًا سَعْيُهُ لِيَحْصُلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا

و لَيْسَ لَهُ إِلَى الْآخِرَةِ هِمَّةٌ أَلْبَتَّ بِالْكُلِّيَّةِ، حَرَمَهُ اللَّهُ الْآخِرَةَ وَ الدُّنْيَا :-

إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ مِنْهَا،

وَ إِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ لَا هَذِهِ وَ لَا هَذِهِ،

وَ فَازَ هَذَا السَّاعِي بِهَذِهِ النَّيَّةِ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

وَ الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هَاهُنَا مُقَيَّدَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي فِي "سُبْحَانَ" :-

وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِذُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مُحْظُورًا أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [الإسراء: ١٨-٢١]

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم و يشتركون هم وإياهم في الكفر و أعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) مَنْ:-

١- الشـرك

٢- و البدع

٣- و تحريم ما أحل الله

(الْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامُ، وَتَحْلِيلُ الْمَيْتَةِ وَالِدَّمِ وَالْقِمَارِ)

٤- **و تحليل** ما حرم الله

و نحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد و يتقربوا به إليه،  
فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله و عن رسوله،

فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم و آباؤهم على الكفر.

\*\*\*هُمْ لَا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ،  
بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

\*\*\* صحيح البخاري

٤٦٢٤ - عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:-

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يُحِطُّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَ رَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ،

وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ» (١)

وَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَحَدَ مُلُوكِ خَزَاعَةَ،

وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ،

وَ هُوَ الَّذِي حَمَلَ قُرَيْشًا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قَبَحَهُ

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: -

(وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ )

أى: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف المختلفة،

١ (يحطم) يكسر. (قصبه) واحد الأقسام وهي الأمعاء

و أنه سيؤخرهم إليه

(لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ<sup>ظ</sup>)

\*\*\*لَعُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِنْظَارِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ  
○ في الوقت الحاضر بسعادة المحق و إهلاك المبطل

لأن المقتضي للإهلاك موجود

{وَأِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

و لكن أمامهم العذاب الأليم (الموجع) في الآخرة، هؤلاء و كل ظالم.

و في ذلك اليوم (تَرَى الظَّالِمِينَ)

(أنفسهم بالكفر و المعاصي)\*\*\* في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ

(مُشْفِقِينَ)

أى: خائفين وجلين

(مِمَّا كَسَبُوا)

أن يعاقبوا عليه.

و لما كان الخائف قد يقع به ما أشفق منه و خافه، و قد لا يقع،

أخبر (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ<sup>ظ</sup>)

العقاب الذي خافوه،

لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب من غير معارض، من توبة و لا غيرها

و وصلوا موضعا فات فيه الإنظار و الإمهال.

(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا)

بقلوبهم بالله و بكتبه و رسله و ما جاءوا به،

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

يشمل كل عمل صالح من:-

١- أعمال القلوب،

٢- أعمال الجوارح من [الواجبات و المستحبات]

فهؤلاء (في رَوْضَاتِ)

\*الميسر:- بسـاتين

\*الجزائري: و الروضة في الجنة أنزه مكان فيها.

(الْجَنَّاتِ)

و قصورها و نعيم الآخرة

○ أي: الروضات المضافة إلى الجنات،

و المضاف يكون بحسب المضاف إليه،

فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة،

و ما فيها من الأنهار المتدفقة، و الفياض المعشبة، و المناظر الحسنة،

و الأشجار المثمرة، و الطيور المغردة، و الأصوات الشجية المطربة،

و الاجتماع بكل حبيب،



و الأخذ من المعاشرة و المنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزدد على طول  
المدى إلا حسنا و بهاء،

و لا يزدد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها و ودادا

(هَمْ مَا يَشَاءُونَ)

فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل،

و مهما طلبوا حصل،

مما لا عين رأت،

و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر.

(عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)

و هل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، و التمتع بقربه في دار كرامته؟

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا  
 إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾  
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ  
 الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ  
 وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴿٢٥﴾ وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾  
 وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ؕ  
 إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا  
 وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ؕ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ؕ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾  
 وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾  
 ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا  
 إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا  
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾  
 (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ )

أي: هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق  
بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان و العمل الصالح،  
فهي أجل الغايات، و الوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل.

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ )

أي: على تبليغي إياكم هذا القرآن و دعوتكم إلى أحكامه.

(أَجْرًا )

فلست أريد أخذ أموالكم  
و لا التولي عليكم و التراس  
و لا غير ذلك من الأغراض

(إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ )

١-يحتمل أن المراد:-

لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم،

و عائد نفعه إليكم، و هو أن تودوني و تحبوني في القربة

أي: لأجل القربة. و يكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان  
فإن مودة الإيمان بالرسول، و تقديم محبته على جميع المحاب بعد محبة الله،  
فرض على كل مسلم، و هؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل  
القربة، لأنه ﷺ قد باشر بدعوته أقرب الناس إليه، حتى إنه قيل:-

إنه ليس في بطون قريش أحد، إلا و لرسول الله ﷺ فيه قرابة.

## ٢- و يحتمل أن المراد:-

إلا مودة الله تعالى الصادقة، و هـى:-

التي يصحبها التقرب إلى الله، و التوسل بطاعته الدالة على صحتها و صدقها،  
و لهذا قال: ( **إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى** )

أى: في التقرب إلى الله،

○ و على كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرا بالكلية إلا أن يكون شيئا يعود نفعه إليهم،

فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر منه لهم ﷺ  
كقوله تعالى:- ( **وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** )  
و قولهم: « **ما لفلان ذنب عندك، إلا أنه محسن إليك** »

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

مسند أحمد ط الرسالة

٢٠٢٤ عن طاووس، قال: أتى ابن عباس رجل  
فسأله. . . ، وسليمان بن داود،

قال: أخبرنا شعبة، أنبأني عبد الملك

قال: سمعت طاووساً، يقول: سأل رجل ابن عباس - المعنى - عن  
قوله عز وجل: { **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** }

[الشورى: ٢٣]-

فقال سعيد بن جبيرة: قرابة محمد ﷺ - قال ابن عباس:

عَجَلَتْ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَنَزَلَتْ:

{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: ٢٣] :-  
إِلَّا أَنْ تَصَلُّوا قَرَابَةً مَا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ " (١)

\*\*\*صحيح البخارى

٣٧١٣ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،  
قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» (١)

\*\*\*صحيح البخاري

٣٧١٢ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:-  
«لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ،  
يَعْنِي مَالَ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ»،  
وَإِنِّي وَ اللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ  
النَّبِيِّ ﷺ

وَ لَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمَلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،  
فَتَشْهَدُ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ،  
وَ ذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقَّهُمْ،  
فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ:-  
وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي  
(وَمَنْ يَقَرَّفِ حَسَنَةً )

من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق

١ (ارقبوا محمدا) احفظوه. (في أهل بيته) فلا تسبوهم ولا تؤذوهم وهم فاطمة وأولادها  
رضي الله عنها وعنهم. أو هم أزواجه ﷺ ورضي الله عنهم وعنهن

(نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا )

بأن:-

١- يشرح الله صدره

٢- و ييسر أمره

٣- و تكون سببا للتوفيق لعمل آخر

٤- و يزداد بها عمل المؤمن

٥- و يرتفع عند الله و عند خلقه

٦- و يحصل له الثواب العاجل و الآجل

كقوله:- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ

أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٠] .

\*\*\*و قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:- إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا،  
و مِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ (السَّيِّئَةِ) بَعْدَهَا.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)

يغفر الذنوب العظيمة و لو بلغت ما بلغت عند التوبة منها،

(شكور)

و يشكر على العمل القليل بالأجر الكثير،

فبمغفرته:-

يغفر الذنوب و يستر العيوب،

و بشكره:-

يتقبل الحسنات و يضاعفها أضعافا كثيرة.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ

وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

يعني أم يقول المكذبون للرسول ﷺ جرأة منهم و كذبا:-

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)

فرموك بأشنع الأمور و أقبحها،

و هو الافتراء على الله :-

١- ادعاء النبوة

٢- و النسبة إلى الله ما هو بريء منه

و هم يعلمون صدقك و أمانتك،

فكيف يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟

بل تجرأوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله،

حيث ممكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة - على موجب زعمهم-

أكبر الفساد في الأرض، حيث :-

١- مكنه الله من التصريح بالدعوة

٢- ثم بنسبتها إليه

٣- ثم يؤيده بـ :-

المعجزات الظاهرات

و الأدلة القاهرات

و النصر المبين

و الاستيلاء على من خالفه

(فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ )

و هو تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها و مادتها،

و هو أن يختم على قلب الرسول ﷺ [و سَلَبَكَ مَا كَانَ آتَاكَ مِنَ الْقُرْآنِ] :-

فلا يعي شيئاً و لا يدخل إليه خير

○ و إذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله و انقطع.

فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول،

و أقوى شهادة من الله له على ما قال،

و لا يوجد شهادة أعظم منها ولا أكبر، و لهذا من حكمته و رحمته

\*\*\*كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا

مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الْحَاقَّةُ: ٤٤-٤٧]

أَي: -لَا نَتَّقِمْنَا مِنْهُ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَ مَا قَدَّرَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْجِزَ عَنْهُ.

(وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ )

و سنته الجارية، أنه يمحو الباطل و يزيله،



و إن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال.

(وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ ۚ)

\*\*\*يُحَقِّقُهُ وَ يَثْبِتُهُ وَ يَبَيِّنُهُ وَ يُوَضِّحُهُ

(بِكَلِمَتَيْهِ)

\*\*\*بِحُجَّتِهِ وَ بَرَاهِينِهِ

○ الكونية، التي لا تغير و لا تبدل،

و وعده الصادق، و كلماته الدينية التي تحقق ما شرعه من الحق،

و تثبته في القلوب، و تبصر أولي الألباب،

حتى إن من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يُقَيِّضَ له الباطل ليقاومه

فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبياناته

فظهر من نوره وهداه ما به يضمحل الباطل و ينقمع،

و يتبين بطلانه لكل أحد، و يظهر الحق كل الظهور لكل أحد.

(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

أي: بما فيها، و ما اتصفت به من خير و شر، و ما أكنته و لم تبده.

﴿٢٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ

وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ  
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)

هذا بيان لكمال كرم الله تعالى و سعة جوده و تمام لطفه،

بقبول التوبة الصادرة من عباده حين:-

١- يـقـلـعـون عن ذنوبهم

٢- و يـنـدـمـون عليها،

٣- و يـعـزـمـون على أن لا يعاودوها،

[إذا قصدوا بذلك وجه ربهم ]

فإن الله يقبلها بعدما:-

١- انـعـقـدـت سببا للهلاك،

٢- و وقـوع العقوبات الدنيوية و الدينية.

(وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ)

و يمحوها، و يمحو أثرها من العيوب، و ما اقتضته من العقوبات،

و يعود التائب عنده كريما، كأنه ما عمل سوءا قط،

و يحبه و يوفقه لما يقر به إليه.

\*\*\* يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَ يَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ فِي الْمَاضِي

\*\*\*كَقَوْلِهِ:-

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

[النساء: ١١٠]

\*\*\*صحيح مسلم :-

(٢٧٤٧) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :-

لِلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ

بَارِضٌ فَلَاةٌ، فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ وَ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَ شَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا،

فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ،

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاخَذَ بِخَطَامِهَا،

ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَ أَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ

○ و لما كانت التوبة من الأعمال العظيمة،

التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها،

و قد تكون ناقصة عند نقصهما،

و قد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية،

و كان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله،

ختم هذه الآية بقوله: (وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا)

فإن الله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه و التوبة من التقصير

فانقسموا - بحسب الاستجابة له- إلى قسمين:-

١- مستجيبين وصفهم بقوله (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ):

أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه و ينقادون له و يلبون دعوته،

لأن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح يحملهم على ذلك

فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، و هو الغفور الشكور.

(وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۚ)

و زادهم من فضله توفيقا و نشاطا على العمل  
و زادهم مضاعفة في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب و الفوز  
العظيم.

٢- (وَالْكَافِرُونَ)

و أما غير المستجيبين لله و هم المعاندون الذين كفروا به و برسله،

ف—(لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)

في الدنيا و الآخرة،

و قَوْلُهُ: {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

قَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي يَسْتَجِيبُ لَهُمْ.

و كَذَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَاهُ يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ لَهُمْ لِأَنفُسِهِمْ و لِأَصْحَابِهِمْ  
و إِخْوَانِهِمْ.

وَحَكَاهُ عَنْ بَعْضِ النُّحَاةِ، وَ أَنَّهُ جَعَلَهَا كَقَوْلِهِ: {-فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ}

[آلِ عِمْرَانَ: ١٩٥].

و حَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ جَعَلَ مِثْلَ قَوْلِهِ: -

{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا}

كَقَوْلِهِ: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ} [الزُّمَرِ: ١٨]

أَيُّ: هُمُ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِلْحَقِّ وَ يَتَّبِعُونَهُ،

كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} (الأنعام: ٣٦)

وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَظْهَرَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ؛

ثم ذكر أن من لطفه بعباده، أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة، تضر بأديانهم فقال:-

(❖ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ مَا يَشَاءُ )

أي: لغفلوا عن طاعة الله، و أقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيهِ نفوسهم، و لو كان معصية و ظلماً.

(وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ )

بحسب ما اقتضاه لطفه و حكمته

\*\*\*وَلَكِنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَخْتَارُهُ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَيَغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى، وَ يُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ

(لَئِنْهُ، بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ )

كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول:-

« إِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ،  
وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الْفَقْرَ، وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ،  
وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الصَّحَّةَ، وَلَوْ أَمْرَضْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ،  
وَإِنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ إِيمَانُهُ إِلَّا الْمَرَضَ وَلَوْ عَافَيْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ،

إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خير بصير »

\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

ابن جرير عن عمرو بن حريث و غيره يقولون:-

إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة

{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ}

ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا.

(وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ)

أي:-المطر الغزير الذي به يغيث البلاد و العباد

(مَنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا)

و انقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم،

و أيسوا و عملوا لذلك الجذب أعمالا فينزل الله الغيث

\*\*\*كَقَوْلِهِ: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} [الرُّوم:٤٩]

(وَيَنْشُرُ)

به

(رَحْمَتُهُ<sup>ع</sup>)

من إخراج الأقوات للآدميين و بهائمهم،

فيقع عندهم موقعا عظيما، و يستبشرون بذلك و يفرحون.

(وَهُوَ الْوَلِيُّ)

الذي يتولى عبادته بأنواع التدبير، و يتولى القيام بمصالح دينهم و دنياهم.

(الْحَمِيدُ)

في ولايته و تدبيره، الحميد على ما له من الكمال،  
و ما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال.

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ

وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾

(وَمِنْ آيَاتِهِ)

أي: و من أدلة قدرته العظيمة، و أنه سيحيي الموتى بعد موتهم

(خَلْقُ)

هذه

(السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

على عظمهما و سعتهما، الدال على قدرته و سعة سلطانه،  
و ما فيهما من الإتقان و الإحكام دال على حكمته و ما فيهما من المنافع  
والمصالح دال على رحمته،  
و ذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، و أن إلهية ما سواه باطلة.

(وَمَا بَثَّ فِيهِمَا)

أي:- نشر في السماوات و الأرض

(مِنْ دَابَّةٍ<sup>٤</sup>)

من أصناف الدواب التي جعلها الله مصالح و منافع لعباده.  
\*\*\* وَ هَذَا يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ وَ سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ  
عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِمْ وَ أَلْوَانِهِمْ وَ لُغَاتِهِمْ، وَ طِبَاعِهِمْ وَ أَجْنَاسِهِمْ  
وَ أَنْوَاعِهِمْ، وَ قَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاءِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَ السَّمَوَاتِ،

(وَهُوَ)

\*\*\* مع هذا كله

(عَلَى جَمْعِهِمْ)

أي: جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة

(إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)

فقدرته و مشيئته صالحان لذلك،

و يتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق،

و قد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين و كتبهم بوقوعه.

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ<sup>٥</sup> وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

(وَمَا أَصَابَكُمْ)

يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد



(مِنْ مُصِيبِكُمْ)

في أبدانهم و أموالهم و أولادهم و فيما يحبون و يكون عزيزا عليهم

(فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)

إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات،

(وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)

و أن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، و لكن أنفسهم يظلمون

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) [فاطر: ٤٥]

و ليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات و لا عجزا.

\*\*\*صحيح البخاري:-

٥٦٤١ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَ لَا وَصَبٍ، وَ لَا هَمٍّ وَ لَا حُزْنٍ وَ لَا آدَى وَ لَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»

(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ)

أي: معجزين قدرة الله عليكم،

بل أنتم عاجزون في الأرض، ليس عندكم امتناع عما ينفذه الله فيكم.

(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوبٍ أَلَّهُ مِنْ وَلِيٍّ)

يتولاكم، فيحصل لكم المنافع

(وَلَا نَصِيرَ)

يدفع عنكم المضار.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ  
 عَلَى ظَهْرِهِ<sup>٤</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا  
 وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٣٥﴾  
 فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا  
 هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ  
 مِّثْلُهَا<sup>٥</sup> فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ  
 بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ  
 وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ<sup>٦</sup> أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ  
 إِنَّ ذَلِكَ لِمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ<sup>٧</sup> مِنْ بَعْدِهِ<sup>٨</sup>  
 وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ  
 عَلَى ظَهْرِهِ<sup>٤</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا

وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٣٥﴾

(وَمِنْ آيَاتِهِ)

أي: و من أدلة رحمته و عنايته بعباده

(الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ)

من السفن، و المراكب النارية و الشراعية، التي من عظمها

(كَالْأَعْلَامِ)

و هي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج،

و حفظها من التطام الأمواج،

و جعلها تحملكم و تحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان و الأقطار البعيدة،

و سخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك.

ثم نبه على هذه الأسباب بقوله:-(إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ)

التي جعلها الله سببا لمشيها

(فَيَظْلِلْنَ)

أي: الجوار

(رَوَاكِدَ)

\*الميسر:سواكن

(عَلَى ظَهْرِهِ)

على ظهر البحر، لا تتقدم و لا تتأخر، و لا ينتقض هذا بالمراكب النارية،  
فإن من شرط مشيها وجود الريح.

و إن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها،  
أي: أغرقها في البحر و أتلّفها، و لكنه يحلم و يعفو عن كثير.

**(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ)**

أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه و يشق عليها (في الشدائد)  
فيكرهها عليه، من مشقة طاعة،  
أو ردع داع إلى معصية،  
أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط

**(شَكُورٍ)**

في الرخاء و عند النعم، يعترف بنعمة ربه و يخضع له، و يصرفها في مرضاته،  
فهذا الذي ينتفع بآيات الله.

و أما الذي لا صبر عنده، و لا شكر له على نعم الله،  
فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات

**(أَوْ يُوقَهُنَّ)**

و\*\*و لَوْ شَاءَ لَأَهْلَكَ السُّفْنَ وَ غَرَقَهَا

**(بِمَا كَسَبُوا)**

بِذُنُوبِ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ رَاكِبُونَ عَلَيْهَا

(وَيَعَفُ عَنْ كَثِيرٍ)

\*\*\*مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَ لَوْ أَخَذَهُمْ بَجَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ لِأَهْلَكَ كُلٌّ مِّنْ رَّكَبِ الْبَحْرِ

ثم قال تعالى:-(وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا)

ليبطلوها بباطلهم.

(مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ)

\*ملجأ

○أى: لا ينقذهم منقذ مما حل بهم من العقوبة.

فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَلَىٰ رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبَرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا

هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾

هذا تهديد في الدنيا و ترغيب في الآخرة، و ذكر الأعمال الموصلة إليها

فقال:- (فَمَا أُوتِيتُمْ)

\*\*\*حصلتم

(مِنْ شَيْءٍ)

من ملك و رياسة، و أموال و بنين، و صحة و عافية بدنية

(فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا)

لذة منغصة منقطعة.

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ)

من الثواب الجزيل، و الأجر الجليل، و النعيم المقيم

(خَيْرٌ)

من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما

(وَأَبْقَى)

لأنه نعيم لا منغص فيه و لا كدر، و لا انتقال.

ثم ذكر لمن هذا الثواب فقال:-

(لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

أى: جمعوا بين الإيمان الصحيح المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة و الباطنة،

و بين التـوكل الذي هو الآلة لكل عمل،

فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام،

و هو:-

الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، و دفع ما يكرهه مع الثقة به

تعالى.

(وَالَّذِينَ يَخْنَبُونَ كِبْرَ الْإِيمِ وَالْفَوَاحِشِ)

و الفرق بين الكبائر و الفواحش - مع أن جميعهما كبائر -

(كَبِيرَ الْإِثْمِ)

ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران

أَنْ (وَالْفَوَاحِشُ)

هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها، كالزنا و نحوه،

و أما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه.

\*الميسر:- ما فَحْشٌ و قَبِيحٌ من أنواع المعاصي

\*أضواء البيان:- و الفَوَاحِشُ جَمْعُ فَاحِشَةٍ.

و التَّحْقِيقُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَنَّ الْفَوَاحِشَ مِنْ جُمْلَةِ الْكِبَائِرِ.

و التَّأْظِهَرُ أَنَّهَا مِنْ أَشْنَعِهَا؛

لأنَّ الْفَاحِشَةَ فِي اللُّغَةِ هِيَ الْخِصْلَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي الْقُبْحِ،

و كُلُّ مُتَشَدِّدٍ فِي شَيْءٍ مُبَالِغٌ فِيهِ فَهُوَ فَاحِشٌ فِيهِ.

(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)

\*\*\*سَجِيتُهُمْ وَ خَلَقَهُمْ وَ طَبَعَهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحَ وَ الْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ،

لَيْسَ سَجِيتُهُمْ الْإِنْتِقَامُ مِنَ النَّاسِ.

\*\*\* صحيح البخاري

٦١٢٦ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ:-

«مَا خَيْرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا

فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ،

وَ مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ،

إِلَّا أَنْ تَنْتَهَكَ حُرْمَةَ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا اللَّهُ»



○ أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق و محاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، و حسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، و لم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان و العفو و الصفح. فترتب على هذا العفو و الصفح، من المصالح و دفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى:

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \*  
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ )  
\*\*\* قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: -عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ:-  
كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَذِلُّوا، وَ كَانُوا إِذَا قَدَرُوا عَفَوا.

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ )

أي: انقادوا لطاعته و لبَّوا دعوته و صار قصدهم رضوانه و غايتهم الفوز بقربه.

(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ)

أي: ظاهرها و باطنها، فرضها و نفلها.

و من الاستجابة لله، إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة،

فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص،

الذال على شرفه و فضله

(وَأَمْرُهُمْ )

(شورى يَنْهَمُ)

\*\*\*أي: لَا يُبْرَمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ، لِيَتَسَاعَدُوا بِآرَائِهِمْ فِي مِثْلِ الْحُرُوبِ وَ مَا جَرَى مَجْرَاهَا،

قوله: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران: ١٥٩]  
و لهذا كَانَ ﷺ يُشَاوِرُهُمْ فِي الْحُرُوبِ وَ نَحْوَهَا، لِيُطِيبَ بِذَلِكَ قُلُوبَهُمْ.  
وَ هَكَذَا لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ الْوَفَاةَ حِينَ طُعِنَ،  
جَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ شُورَى فِي سِتَّةِ نَفَرٍ، وَ هُمْ: -  
عُثْمَانُ، وَ عَلِيٌّ، وَ طَلْحَةُ، وَ الزُّبَيْرُ، وَ سَعْدٌ، وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ،  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ،

فَاجْتَمَعَ رَأْيُ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ عَلَيْهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،  
أي: لَا يَسْتَبِدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِرَأْيِهِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمْ

و هذا لَا يَكُونُ إِلَّا فِرْعَا عَنْ اجْتِمَاعِهِمْ وَ تَوَالِفِهِمْ وَ تَوَادُّدِهِمْ وَ تَحَابِهِمْ  
وَ كَمَالِ عَقُولِهِمْ، أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ  
وَ الرَّأْيِ فِيهَا، اجْتَمَعُوا لَهَا وَ تَشَاوَرُوا وَ بَحَثُوا فِيهَا،  
حَتَّى إِذَا تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْمَصْلَحَةُ، انْتَهَزُوهَا وَ بَادَرُوهَا،  
وَ ذَلِكَ كَالرَّأْيِ فَمَّى:-

الغزو و الجهاد، و تولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره،  
وَ كَالْبَحْثِ فِي الْمَسَائِلِ الدِّينِيَّةِ عَمُومًا، فَإِنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْتَرَكَةِ،  
وَ الْبَحْثُ فِيهَا لِبَيَانِ الصَّوَابِ مِمَّا يَحِبُّهُ اللَّهُ، وَ هُوَ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ )

من النفقات الواجبة، كالزكاة و النفقة على الأقارب و نحوهم، و المستحبة، كالصدقات على عموم الخلق.

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ )

أي: وصل إليهم من أعدائهم

(هُمْ يَنْتَصِرُونَ )

لقوتهم و عزتهم، و لم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار.  
فوصفهم بالإيمان، و على الله، و اجتناب الكبائر و الفواحش الذي تكفر به الصغائر، و الانقياد التام، و الاستجابة لربهم، و إقامة الصلاة، و الإنفاق في وجوه الإحسان، و المشاورة في أمورهم و القوة و الانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، و يلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، و انتفاء ضدها.

\*\*\*فِيهِمْ قُوَّةٌ الْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَ اعْتَدَى عَلَيْهِمْ  
لَيَسُوا بِعَاجِزِينَ وَ لَا أَذَلَّةَ، بَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ بَغَى عَلَيْهِمْ،  
وَ إِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا إِذَا قَدَرُوا وَ عَفَا، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عليه السلام لِإِخْوَتِهِ:-  
{ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ [وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] } [يُوسُف: ٩٢]  
مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مُوَآخَذَتِهِمْ وَ مُقَابَلَتِهِمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ إِلَيْهِ،

○ وَ كَمَا عَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ الثَّمَانِينَ الَّذِينَ قَصَدُوهُ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَ نَزَلُوا مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ، فَلَمَّا قَدَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ عَلَيْهِمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ،

○ وَ كَذَلِكَ عَفُوهُ عَنْ غَوْرَثِ بْنِ الْحَارِثِ، الَّذِي أَرَادَ الْفَتْكَ بِهِ ﷺ حِينَ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَ هُوَ نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظَ ﷺ وَ هُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَانْتَهَرَهُ فَوَضَعَهُ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ، وَ دَعَا أَصْحَابَهُ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمَرَ هَذَا الرَّجُلَ، وَ عَفَا عَنْهُ. وَ كَذَلِكَ عَفَا عَنْ لُبَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الَّذِي سَحَرَهُ ﷺ وَ مَعَ هَذَا لَمْ يَعْرِضْ لَهُ، وَ لَا عَاتَبَهُ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ.

○ وَ كَذَلِكَ عَفُوهُ ﷺ عَنِ الْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ - وَ هِيَ زَيْنَبُ أُخْتِ مَرْحَبِ الْيَهُودِيِّ الْخَيْرِيِّ الَّذِي قَتَلَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ - الَّتِي سَمَّتِ الذَّرَاعَ يَوْمَ خَيْبَرَ

فَأَخْبَرَهُ الذَّرَاعُ بِذَلِكَ، فَدَعَاَهَا فَأَعْتَرَفَتْ فَقَالَ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ"

قَالَتْ: أَرَدْتُ إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ، وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرْحَنَّا مِنْكَ،

فَأُطْلِقَهَا ﷺ وَ لَكِنْ لَمَّا مَاتَ مِنْهُ بَشَرُ بْنُ الْبَرَاءِ قَتَلَهَا بِهِ، وَ الْأَحَادِيثُ وَ الْأَثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَجَزَوْا سِتْنَةً مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾  
(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) <sup>ط</sup>

\*\*\*كَقَوْلِهِ {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}  
[البقرة: ١٩٤]

\*\*\*وَقَوْلِهِ {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ  
لِّلصَّابِرِينَ} [النحل: ١٢٩]

فَشَرَعَ الْعَدْلَ وَ هُوَ الْقَصَاصُ، وَ نَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَ هُوَ الْعَفْوُ،  
كَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة: ٤٥]  
○ ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات و أنها على ثلاث مراتب: -

١- **عدل** ٢- و **فضل** ٣- و **ظلم**.

فمرتبة **العدل**: -

جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة و لا نقص  
فالنفس بالنفس، و كل جارحة بالجارحة المماثلة لها، و المال يضمن بمثله.  
و مرتبة **الفضل**:

العفو و الإصلاح عن المسيء،

و لهذا قال: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) <sup>ع</sup>

يجزيه أجرا عظيما، و ثوابا كثيرا،  
و شرط الله في العفو الإصلاح فيه،

ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه،  
و كانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته،  
فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به.  
و في جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو  
و أن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به،  
فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عَنْهُمْ،  
و كما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

\*\*\*صحيح مسلم

(٢٥٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: -  
«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا،  
وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»  
و أما مرتبة الظلم :-

فقد ذكرها بقوله: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ )

الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته،  
فالزيادة ظلم.

(وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ )

أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه

(فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ )

أي: لا حرج عليهم في ذلك.

و دل قوله: ( **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ** )

و قوله: ( **وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ** )

أنه لا بد من إصابة البغي و الظلم و وقوعه.

و أما إرادة البغي على الغير، و إرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، و إنما يؤدب تأديبا يردعه عن قول أو فعل صدر منه.

( **إِنَّمَا السَّبِيلُ** )

أى: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية

( **عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** )

و هذا شامل للظلم و البغي على الناس، في دمائهم و أموالهم و أعراضهم. \*\*\*يَبْدُوْنَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:-

صحيح مسلم

(٢٥٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» (١)

( **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** )

أى: موجه للقلوب و الأبدان، بحسب ظلمهم و بغيهم.

( **وَلَمَنِ صَبَرَ** )

---

١ (المستبان ما قالوا) معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادي منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادي أكثر مما قال له]

على ما يناله من أذى الخلق

(وَعَفَرَ)

لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم،

(إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)

أي: لمن الأمور التي حث الله عليها و أكدها،

و أخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر و الحظوظ العظيمة،

و من الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم و الهمم، و ذوو الألباب و البصائر.

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها،

و الصبر على الأذى و الصبح عنه و مغفرته و مقابله بالإحسان أشق و أشق و لكنه يسير على من يسره الله عليه،

و جاهد نفسه على الاتصاف به، و استعان الله على ذلك،

ثم إذا ذاق العبد حلاوته، و وجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، و سعة الخلق، و التلذذ فيه.

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ

يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية و الإضلال



و أنه (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ )

بسبب ظلمه

(فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ )

يتولى أمره و يهديه.

(وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ )

مرأى و منظرا فظيعا، صعبا شنيعا، يظهر الندم العظيم،

و الحزن على ما سلف منهم

و (يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ )

أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل،

و هذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن.

\*\*\*كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ

بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا

لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٧، ٢٨]

وَ اعْلَمَ أَنَّ كِبَائِرَ الْإِثْمِ لَيْسَتْ مَحْدُودَةٌ فِي عَدَدٍ مُعَيَّنٍ،

وَ قَدْ جَاءَ تَعْيِينُ بَعْضِهَا، كَالسَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ، أَيِ الْمُهْلِكَاتِ لِعَظَمِهَا،

وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهَا:-

الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَ السَّحَرُ،

وَ أَكْلُ الرِّبَا، وَ أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَ التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ،

وَ قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ.

وَقَدْ جَاءَتْ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - فِي تَعْيِينِ بَعْضِ الْكَبَائِرِ  
كَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ،

وَاسْتِحْلَالَ حُرْمَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ،

وَالرُّجُوعَ إِلَى الْبَادِيَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ،

وَشَرْبَ الْخَمْرِ،

وَالْيَمِينَ الْغُمُوسِ،

وَالسَّرَقَةَ،

وَمَنْعَ فَضْلِ الْمَاءِ

وَمَنْعَ فَضْلِ الْكَلْبِ،

وَشَهَادَةَ الزُّورِ.

وَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ:-

أَنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ،

ثُمَّ قَتْلُ الرَّجُلِ وَلَدَهُ خَشِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَهُ،

ثُمَّ زِنَاهُ بِحَلِيلَةٍ جَارِهِ.

وَ فِي بَعْضِهَا أَيْضًا «أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ تَسَبُّبَ الرَّجُلِ فِي سَبِّ وَالِدَيْهِ» .

وَ فِي بَعْضِهَا أَيْضًا «أَنَّ سَبَابَ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَ قِتَالُهُ كُفْرٌ»

وَ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا مِنَ الْكَبَائِرِ.

وَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ

«أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ الْوُقُوعَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ، وَ السَّبْتَيْنِ بِالسَّبَةِ» .

وَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ «أَنَّ مِنْهَا جَمْعَ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ» .

وَ فِي بَعْضِهَا «أَنَّ مِنْهَا الْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ» .

وَ يَدُلُّ عَلَيْهِمَا قَوْلُهُ -تَعَالَى{إِنَّهُ لَا يَنَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}

[يوسف: ٨٧]

وَقَوْلُهُ: { فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف: ٩٩]  
وَفِي بَعْضِهَا «أَنَّ مِنْهَا سُوءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ»  
وَيَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى:-

{وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ  
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا} [الفتح: ٦]  
وَفِي بَعْضِهَا «أَنَّ مِنْهَا الْإِضْرَارَ فِي الْوَصِيَّةِ» .

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ  
وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ  
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا  
إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا  
وَلِنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾  
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً  
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ  
عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا  
أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ  
إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ

وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ  
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

(وَتَرَدُّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا)

أي: على النار

(خَسِرِينَ مِنَ الدَّلِيلِ)

أي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم

(يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ)

أي: ينظرون إلى النار مسارقة و شزرا، من هيبتها و خوفها.

(وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا)

حيث ظهرت عواقب الخلق، و تبين أهل الصدق من غيرهم:

(إِنَّ الْخَسِرِينَ)

على الحقيقة

(الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ)

حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، و حصلوا على أليم العقاب  
و فرق بينهم و بين أهليهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم.

(أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ )

أنفسهم بالكفر و المعاصي

( فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ )

\*\*\*دائم سرمدي أبدى

○ أي: في سوائه و وسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبدا و لا يفتر عنهم  
و هم فيه مبلسون.

( وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ )

\*ينقذونهم

(مَنْ دُونِ اللَّهِ )

كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم،  
ففي القيامة يتبين لهم و لغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت  
و أنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم.

(وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ )

تحصل به هدايته

فهؤلاء ضلوا حيث زعموا في شركائهم النفع و دفع الضر،  
فتبين حينئذ ضلالهم.

\*الميسر:- لأنه قد سدت عليه طرق النجاة

فالهداية و الإضلال بيده سبحانه و تعالى دون سواه.

اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ  
 يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا  
 إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَحَّ بِهَا  
 وَإِنْ نَضَيْبَهُمْ سَيْئَةً يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾  
 (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ)

يأمر تعالى عباده بـ: -

- ١- الاستجابة له، بامتنال ما أمر به،
- ٢- واجتناب ما نهى عنه،
- ٣- والمبالغة بذلك و عدم التسويف،

(مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ)

القيامة الذي إذا جاء

(لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ)

لا يمكن رده و استدراك الفائت

(مَا لَكُمْ)

و ليس للعبد

(مِنْ مَلْجَأٍ)

يلجأ إليه، فيفوت ربه، و يهرب منه.

(يَوْمِذٍ)

في ذلك اليوم

بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم و نودوا

(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ )

\*\*\*لَيْسَ لَكُمْ حِصْنٌ تَحْصِنُونَ فِيهِ وَلَا مَكَانٌ يَسْتُرْكُمْ وَ تَتَنَكَّرُونَ فِيهِ،

فَتَغِيْبُونَ عَنْ بَصَرِهِ، تَبَارَكَ وَ تَعَالَى

بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُمْ بِعِلْمِهِ وَ بَصَرِهِ وَ قُدْرَتِهِ، فَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ،

{ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ. كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ }

[الْقِيَامَةِ: ١٠-١٢] .

(وَمَا لَكُمْ)

و ليس للعبد في ذلك اليوم

(مِنْ نَكِيرٍ)

\*الميسر: تتنكرون فيه.

○ لما اقترفه و أجرمه

بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه.

و هذه الآية و نحوها، فيها ذم الأمل،



و الأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

( فَإِنْ أَعْرَضُوا )

عما جئتهم به بعد البيان التام

( فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا )

تحفظ أعمالهم و تسأل عنها

\*\*\*لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ.

و قَالَ تَعَالَى:- {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ٢٧٢]

و قَالَ تَعَالَى:- {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد: ٤٠]

( إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ )

\*\*\*إِنَّمَا كَلَّفْنَاكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ رسالة الله إليهم.

○ فإذا أديت ما عليك فقد وجب أجرك على الله، سواء استجابوا أم أعرضوا،

و حسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم و كبيرها،

و ظاهرها و باطنها.

( وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا )

ثم ذكر تعالى حالة الإنسان و أنه إذا أذاقه الله

( رَحْمَةً )

من صحة بدن، و رزق رغد، و جاه و نحوه

(فَرِحَ بِهَا)

أي: فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعدها،  
و يلزم من ذلك طمأنينته بها و إعراضه عن المنعم.

(وَلِنْ تُصِيبَهُمْ سَكِينَةٌ)

أي: مرض أو فقر، أو نحوهما

(بِمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ)

أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، و التسخط لما أصابه من السيئة.  
\*\*\*كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ:-

صحيح البخاري

٣٠٤ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ،  
فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»  
فَقُلْنَ: وَ بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَ تَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ،

مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَ دِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»،  
قُلْنَ- وَ مَا نَقْصَانُ دِينِنَا وَ عَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ:-«أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ»

قُلْنَ:-بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ عَقْلِهَا،

أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَ لَمْ تُصُمْ»

قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ دِينِهَا»

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا  
وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا  
وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلَىٰ قَدِيرٍ ﴿٥٠﴾

هذه الآية فيها الإخبار عــــن: -

١- سعة ملكه تعالى

٢- و نفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء

٣- و التدبير لجميع الأمور

حتى إن تدبيره تعالى، من عمومته، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي  
يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد  
فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء.

(يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا )

\*\*\* مثل لوط عليه السلام

(وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ )

\*\*\* مثل الخليل ابراهيم عليه السلام

فمن الخلق من يهب له إناثا، و منهم من يهب له ذكورا

( أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا )

و منهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا و إناثا

(وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا<sup>٤</sup>)

و منهم من يجعله عقيما لا يولد له.

\*\*\* كَيْحَيِّ وَ عَيْسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(إِنَّهُ عَلِيمٌ)

بكل شيء

(قَدِيرٌ)

على كل شيء، فيتصرف بعلمه و إتقانه الأشياء، و بقدرته في مخلوقاته.

❖ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ



(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا)

لما قال المكذبون لرسول الله، الكافرون بالله:-

(لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ)

من كبرهم و تجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة،

و أن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء و المرسلين

و صفوته من العالمين، و أنه يكون على أحد هذه الأوجه.

إما (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا)

بأن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك،

و لا مخاطبة منه شفاها.

(أَوْ)

يكلمه منه شفاها لكن

(مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ)

كما حصل لموسى بن عمران، كلیم الرحمن.

(أَوْ)

يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي

ف—(يُرْسِلَ رَسُولًا)

كجبريل أو غيره من الملائكة.

(فَيُوحِي بِإِذْنِهِ)

أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه

(مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ)

تعالى (عَلَىٰ) الذات، (عَلَىٰ) الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال،

قد قهر كل شيء، و دانت له المخلوقات

(حَكِيمٌ)

في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات و الشرائع.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا <sup>٥٢</sup> مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ  
 وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ <sup>٥٣</sup> مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ  
 صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ <sup>٥٤</sup>  
 أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ <sup>٥٥</sup>

### ٤٣- سورة الزخرف - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم <sup>١</sup> وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ <sup>٢</sup> إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ  
<sup>٣</sup> وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ <sup>٤</sup> أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ  
 الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ <sup>٥</sup> وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ  
 فِي الْأَوَّلِينَ <sup>٦</sup> وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ <sup>٧</sup> فَأَهْلَكْنَا  
 أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ <sup>٨</sup> وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّن خَلَقَ  
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ <sup>٩</sup> الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ  
 الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ <sup>١٠</sup>

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا<sup>٥٤</sup> مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ<sup>٥٥</sup> مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ  
 صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ<sup>٥٦</sup> مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ ۭ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ  
 (وَكَذَلِكَ)

حين أوحينا إلى الرسل قبلك

(أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا<sup>٥٤</sup>)

و هو هذا القرآن الكريم،

سمّاه روحاً لأن:-

الروح يحيا به الجسد،

و القرآن تحيا به القلوب و الأرواح،

و تحيا به مصالح الدنيا و الدين

لما فيه من الخير الكثير و العلم الغزير.

و هو محض منة الله على رسوله و عباده المؤمنين من غير سبب منهم،

و لهذا قال: (مَا كُنتَ تَدْرِي )

أى: قبل نزوله عليك

( مَا الْكِتَابُ )

أى: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة،

(وَلَا إِلِيمَنُ)

و عمل بالشرائع الإلهية،

بل كنت أميا لا تخط و لا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب

(وَلَكِن جَعَلْنَهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا )

يستضيئون به في ظلمات الكفر و البدع، و الأهواء المردية،

و يعرفون به الحقائق، و يهتدون به إلى الصراط المستقيم.

\*\*\*كَقَوْلِهِ: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [فَصَّلَتْ: ٤٤]

(وَإِنَّكَ)

\*\*\*يا محمد

(لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

\*\*\*الخلق القويم

○أي: تبينه لهم و توضحه و تنيره و ترغبهم فيه، و تنهاهم عن ضده، و ترهبهم

منه

ثم فسر الصراط المستقيم فقال: -

(صِرَاطِ اللَّهِ)

أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، و أخبرهم أنه موصل إليه و إلى دار كرامته



(الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

\*\*\*رَبُّهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

(أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)

أى: ترجع جميع أمور الخير و الشر،

فيجازي كُلاً بحسب عمله، إن خيراً فخير، و إن شراً فشر.

تم تفسير سورة الشورى،

و الحمد لله أولاً و آخراً، و ظاهراً و باطناً، على تيسيره و تسهيله.

### ٤٣- تفسير سورة الزخرف-مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ❶ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ❷ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

❸ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ❹

أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ❺

القرآن و مكانته ١-٤

(حَمْدٌ ❶ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ❷)

هذا قسم بالقرآن على القرآن،

فأقسم بالكتاب المبين و أطلق، و لم يذكر المتعلق، ليـدل على:-

أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين و الآخرة.

(إِنَّا جَعَلْنَاهُ) (١)

\*\*\*أنزلناه

(قُرْءَانًا عَرَبِيًّا )

هذا المقسم عليه أنه جعل بأفصح اللغات و أوضحها و أبينها،

و هذا من بيانه و ذكر الحكمة في ذلك فقال:- (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ )

\*\*\*تتدبرون و تفهمون

○ الأفاظه و معانيه لتيسرها و قربها من الأذهان.

\*\*\*كَمَا قَالَ: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشُّعْرَاءِ: ١٩٥]

(وَلِإِنَّهُ)

أي: هذا الكتاب

(فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا )

في الملاء الأعلى في أعلى الرتب و أفضلها

(لَعَلِّي)

لعلي في قدره و شرفه و محله،

(حَكِيمٌ)

فيما يشتمل عليه من الأوامر و النواهي و الأخبار  
فليس فيه حكم مخالف للحكمة و العدل و الميزان.  
\*\*\*كَمَا قَالَ:-

{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ} [الْوَاقِعَةُ: ٧٧ - ٨٠]

وَ قَالَ:-{كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ. فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ.  
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عَبَسَ: ١١ - ١٦]

○ ثم أخبر تعالى أن حكمته و فضله يقتضي أن لا يترك عباده هملا لا يرسل  
إليهم رسولا و لا ينزل عليهم كتابا، و لو كانوا مسرفين ظالمين فقال:-

استهزاء و عقوبة المسرفين ٨-٥

(أَفَنَضْرِبُ)

أي: أفعرض

(عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا)

\*الجلالين:-إِمْسَاكًا

○ و نترك إنزال الذكر إليكم،

و نضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، و عدم انقيادكم له؟

بل ننزل عليكم الكتاب، و نوضح لكم فيه كل شيء،

فإن آمنتم به و اهتديتم، فهو من توفيقكم، و إلا قامت عليكم الحجة

و كنتم على بينة من أمركم.

( **أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ** )

\*الميسر: و إسرافكم في عدم الإيمان به

○ يقول تعالى: إن هذه سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملا

( **وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ** )

يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، و لم يزل التكذيب موجودا في الأمم.

( **وَمَا يَأْنِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ** )

جحدا لما جاء به، و تكبرا على الحق.

( **فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ** )

من هؤلاء

( **بَطْشًا** )

أي: قوة و أفعالا و آثارا في الأرض

\*\*\*كَقَوْلِهِ: { **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**

**كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً** } [ غافر: ٨٢ ]

( **وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ** )

أي: مضت أمثالهم و أخبارهم، و بينا لكم منها ما فيه عبرة و مزدجر عن

التكذيب و الإنكار.

\*\*\*كَقَوْلِهِ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ:  
{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}

[الزُّخْرَفِ: ٥٦] .

وَ كَقَوْلِهِ: {سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ} [غَافِرٍ: ٨٥]

وَ قَالَ: {وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الْأَحْزَابِ: ٦٢]

وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عن المشركين

(وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ )

الله وحده لا شريك له،

عظمة الله و نعمه ٩-١٤

(الْعَزِيزُ)

الذي دانت لغزته جميع المخلوقات،

(الْعَلِيمُ)

بظواهر الأمور و بواطنها، و أوائلها و أواخرها،

فإذا كانوا مقرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد و الصاحبة و الشريك؟!

و كيف يشركون به من لا يخلق و لا يرزق، و لا يميت و لا يحيى؟!  
○ ثم ذكر أيضا من الأدلة الدالة على كمال نعمته و اقتداره:-

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا )

بما خلقه لعباده من الأرض التي مهدها و جعلها قرارا (فراشا) للعباد  
يتمكنون فيها من كل ما يريدون.

(وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا )

أى: جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة  
تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار في السير في الطرق و لا تضيعون،

(لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )

أيضا في الاعتبار بذلك و الاذكار فيه.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ۚ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ  
 ۝۱۱ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝۱۲  
 لَتَسْتَوْا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ  
 الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝۱۳ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُسْقِلُونَ ۝۱۴  
 وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝۱۵ أَمْ أُتَّخَذَ مِمَّا  
 يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ۝۱۶ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ  
 مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝۱۷ أَوْ مَن يُنَشِّؤُا فِي الْحِلْيَةِ  
 وَهُوَ فِي الْفِتْنَةِ غَيْرٌ مُّبِينٌ ۝۱۸ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا  
 أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَائِهِمْ وَيَسْتَلُونَ ۝۱۹ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ  
 مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝۲۰  
 أَمْ ءَانِيتُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝۲۱  
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ۝۲۲

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ۚ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ  
 ۝۱۱ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝۱۲

لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ  
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ )

لا يزيد و لا ينقص، و يكون أيضا بمقدار الحاجة

○ لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع،

○ و لا يزيد بحيث يضر العباد و البلاد،

بل أغاث به العباد، و أنقذ به البلاد من الشدة،

و لهذا قال: (فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا )

أى: -أحييناها بعد موتها،

(كَذَلِكَ نُخْرِجُوهُنَّ )

أى: فكما أحيأ الأرض الميتة الهامدة بالماء

كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.

(وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا )

أى: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض و من أنفسهم و مما لا يعلمون،

من ليل و نهار، و حر و برد، و ذكر و أنثى، و غير ذلك.

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ )

أى: السفن البحرية، الشراعية و النارية



(و) من

(وَالْأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ)

(لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ)

و هذا شامل لظهور الفلك و لظهور الأنعام، أى: لتستقروا عليها،

(ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ)

بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها و الشاء عليه تعالى بذلك، و لهذا قال:-

(وَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا)

أى: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك، و الأنعام

(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)

ما كنا مطيقين لذلك و قادرين عليه،

و لكن من لطفه و كرمه تعالى، سخرها و ذللها و يسر أسبابها.

\*\*\*صحيح مسلم

(١٣٤٢) عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:-

كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا

ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا،

وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ،

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى،

وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى،

اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ

اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ،  
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَ كَابَةِ الْمَنْظَرِ،  
 وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ،  
 وَ إِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَ زَادَ فِيهِنَّ: «آيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» (١)  
 و المقصود من هذا:-

بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد،  
 هو الذي يستحق أن يعبد، و يصلى له و يسجد.

(وَلِنَا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)

\*الميسر: و لتقولوا أيضاً:-

و إنا إلى ربنا بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.

\*\*\* وَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنبِيهِ بِسَيْرِ الدُّنْيَا عَلَى سَيْرِ الْآخِرَةِ  
 كَمَا نَبَّهَ بِالزَّادِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى الزَّادِ الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ:

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: ١٩٧]

وَ بِاللِّبَاسِ الدُّنْيَوِيِّ عَلَى الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} [الأعراف: ٢٦] .

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا

يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ

مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُمْشُوا فِي الْحَلِيِّ

١ (وعثاء) المشقة و الشدة (و كابة) هي تغبر النفس من حزن و نحوه (المنقلب) المرجع

وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا أَلَمَتِيكَهَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ

أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهْدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ

مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

\*\*\*قَوْلُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا افْتَرَوْهُ وَ كَذَّبُوهُ فِي جَعْلِهِمْ بَعْضَ الْأَنْعَامِ لَطَوَاعِيَّتِهِمْ وَ بَعْضَهَا لِلَّهِ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ "الْأَنْعَامِ"

فِي قَوْلِهِ: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى

شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الْأَنْعَام: ١٣٦]

وَ كَذَلِكَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ قِسْمِي الْبَنَاتِ وَ الْبَنِينَ أَخْسَهُمَا وَ أَرْدَاهُمَا وَ هُوَ الْبَنَاتُ

كقوله: {الْكُ الْمَذْكُورُ وَلَهُ الْأُنثَى. تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النَّجْم: ٢١، ٢٢]

وَ قَالَ هَاهُنَا:

( وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ )

\*الميسر: لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه

افتراءات المشركين و الرد عليهم ١٥-٢٥

( مُبِينٌ )

\*الميسر: مظهر لجحوده و كفره يعبد المصائب، و ينسى النعم.

( أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ )

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا،  
و هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة و لا ولدا،  
و لم يكن له كفوا أحد

○ وإن ذلك باطل من عدة أوجه:-

١- أن الخلق كلهم عباده، و العبودية تنافي الولادة.

٢- أن الولد جزء من والده، و الله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته  
و نعوت جلاله، و الولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

٣- أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله و من المعلوم أن البنات أدون  
الصنفين

فكيف يكون لله البنات، و يصطفيهن بالبنيين، و يفضلهن بها؟!  
فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٤- أن الصنف الذي نسبه لله، و هو البنات، أدون الصنفين  
و أكرهما لهم، حتى إنهم من كراحتهم لذلك

( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا )

من كراحتة و شدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

( وَهُوَ كَظِيمٌ )

\*الميسر: و هو حزين مملوء من الهم و الكرب

ه- أن الأنتى ناقصة في وصفها و في منطقها و بيانها، و لهذا قال تعالى:-

(أَوْ مِنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ)

أي: يجمال فيها، لنقص جماله، فيجمال بأمر خارج عنه؟

(وَهُوَ فِي الْخِصَامِ)

أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام

(غَيْرُ مُبِينٍ)

أي: غير مبين لحجته، و لا مفصح عما احتوى عليه ضميره،

فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

\*\*\*الْمَرْأَةُ نَاقِصَةٌ يَكْمُلُ نَقْصُهَا بَلْبَسُ الْحِلْيِ مِنْذُ تَكُونُ طِفْلَةً،

وَ إِذَا خَاصَمَتْ فَلَا عِبَارَةَ لَهَا، بَلْ هِيَ عَاجِزَةٌ عِيَّةٌ،

أَوْ مَنْ يَكُونُ هَكَذَا يُنْسَبُ إِلَى جَنَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ !؟

فَالْأَنْتَى نَاقِصَةُ الظَّاهِرِ وَ الْبَاطِنِ، فِي الصُّورَةِ وَ الْمَعْنَى

فِي كَمُلِ نَقْصِ ظَاهِرِهَا وَ صُورَتِهَا:-

بَلْبَسِ الْحِلْيِ وَ مَا فِي مَعْنَاهُ، لِيُجَبَّرَ مَا فِيهَا مِنْ نَقْصٍ

كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ:

وَ مَا الْحِلْيِ إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيسَةٍ ... يَتِمُّ مِنْ حُسْنِ إِذَا الْحُسْنُ قَصْرًا

وَ أَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ وَفَرًا ... كَحُسْنِكَ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يَزُورَا

وَ أَمَّا نَقْصُ مَعْنَاهَا:-

فَإِنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَاجِزَةٌ عَنِ الْإِنْتِصَارِ عِنْدَ الْإِنْتِصَارِ، لَا عِبَارَةَ لَهَا وَ لَا هِمَّةَ

كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ وَ قَدْ بَشَّرَ بِنْتِ:-

مَا هِيَ بِنِعْمِ الْوَلَدِ: نَصْرُهَا بِالْبُكَاءِ، وَ بَرُّهَا سَرِيقَةً.

٦-أنهم ( وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِشَاءً )

فتجروا على الملائكة، العباد المقربين

و رقوهم عن مرتبة العبادة و الذل إلى مرتبة المشاركة لله في شيء من خواصه  
ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة،  
فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه و عاند رسله.

٧- ( أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ )

أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته،  
فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟!!

( سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ )

ستكتب عليهم

( وَيُسْأَلُونَ )

و لكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، و يعاقبون عليها.

و قوله تعالى:- ( وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ )

فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة،

و هي حجة لم يزل المشركون يطرقونها،

و هي حجة باطلة في نفسها، عقلا و شرعا.

فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر،

و لو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

و أما شرعا:-

فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به،

و لم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله

فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا

و لهذا قال هنا:- **(مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)**

أي: يتخرصون تخرصا لا دليل عليه، و يتخبطون خبط عشواء.

\*الميسر:- و إنما يقولونه تخرصا و كذبا

لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك و لا برهان.

ثم قال:- **(أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ)**

\*من قبل هذا القرآن

**(فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ)**

\*يعملون بما فيه

\*\*\*أي: فيما هم فيه، أي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، كَقَوْلِهِ:

**{أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ}** [الرُّوم: ٣٥]

أي: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ.

○ يخبرهم بصحة أفعالهم، و صدق أقوالهم؟

ليس الأمر كذلك،

فإن الله أرسل محمدا نذيرا إليهم، و هم لم يأتهم نذير غيره،

أي: فلا عقل و لا نقل،  
و إذا انتفى الأمران، فلا ثمَّ إلا الباطل.  
نعم، لهم شبهة من أوهى الشُّبه، و هى:-  
تقليد آباءهم الضالين الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل،  
و لهذا قال هنا: ( **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ** )  
أي: على دين و ملة [ و طريقة و مذهب ]  
( **وَإِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ** )  
أي: فلا نتبع ما جاء به محمد ﷺ.



وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٣٣﴾ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرًا ۖ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٥﴾

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ

وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾

فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾

(وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا )

أي: منعموها و ملأها الذين أطعتهم الدنيا و غرتهم الأموال و استكبروا على الحق

( إِنَّا وَجَدْنَاهُ ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ )

\*الميسر: ملة و دين

( وَإِنَّا عَلَىٰ ءَانْتَرِهِمْ )

\*\*\*وراءهم

\*الميسر: منهاجهم و طريقتهم

( مُقْتَدُونَ )

\*الجلالين: متبعون

\*\*\*لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ سِوَى تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ،  
بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أُمَّةٍ، وَ الْمُرَادُ بِهَا الدِّينُ هَاهُنَا  
وَ فِي قَوْلِهِ: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } [الأنبياء: ٩٢] .

○أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، و ليسوا بأول من قال هذه المقالة.

و هذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين  
ليس المقصود به اتباع الحق و الهدى،

و إنما هو تعصب محض، يراد به نصره ما معهم من الباطل.  
و لهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة:

(قَالَ)

\*\*\*يا محمد

(أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ<sup>ط</sup>)

أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟

(قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)

فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق و الهدى،  
و إنما قصدهم اتباع الباطل و الهوى.

(فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ<sup>ط</sup>)

بتكذيبهم الحق، و ردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة.

(فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

﴿٣٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٩﴾

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ <sup>ع</sup> نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا <sup>ع</sup>

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا <sup>ف</sup>

وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي ينتسب إليه أهل الكتاب  
والمشركون، و كلهم يزعم أنه على طريقته،

فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: - (وَلِإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ )  
الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم و يتقربون إليهم:

(إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ )

أي: مبغض له، مجتنب معاد لأهله

(إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي )

\* خلقني

(فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ )

فإني أتولاه، و أرجو أن يهديني للعلم بالحق و العمل به،

فكما فطرنى و دبرنى بما يصلح بدنى و دنياى،

ف — (سَيِّدِينَ)

لما يصلح ديني و آخرتي.

(وَجَعَلَهَا)

أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال و أساسها،  
و هي إخلاص العبادة لله وحده، و التبرّي من عبادة ما سواه.

(كَلِمَةً)

\*\*\* هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَ هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ  
وَ خَلَعَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ هِيَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"

(بَاقِيَةً)

\*\*\* دَائِمَةً

(فِي عَقِيدَةٍ)

أي: ذريته [مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ] يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ

(لَعَلَّهُمْ)

إليها

(يَرْجِعُونَ)

\* إلى طاعة ربهم و توحيده و يتوبون من كفرهم و ذنوبهم

○ لشهرتها عنه، و توصيته لذريته

و توصية بعض بنيه - كإسحاق و يعقوب - لبعض،

كما قال تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) إلى آخر الآيات.

فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف و الطغيان.

فقال تعالى:- (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ)

بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم و نهاية مقصودهم فلم تزل يتربى بها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، و عقائد متأصلة.

(حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ)

\*الميسر:- القرآن

○الذي لا شك فيه و لا مربة و لا اشتباه.

(وَرَسُولٌ مَّبِينٌ)

أي: بين الرسالة، قامت أدلة رسالته قياما باهرا، بأخلاقه و معجزاته، و بما جاء به، و بما صدق به المرسلين، و بنفس دعوته ﷺ.

(وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ)

الذي يوجب على من له أدنى دين و معقول أن يقبله و ينقاد له.

(قَالُوا هَذَا سِحْرٌ)

\*يسحرنا به

(وَلَمَّا يَبْهُ كُفِرُوا)

\*مكذبون

○ وهذا من أعظم المعاندة و المشاقة،

فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل و لا جحده،  
فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحا شنيعا، و جعلوه بمنزلة السحر الباطل،  
الذي لا يأتي به إلا أخبث الخلق و أعظمهم افتراء،  
و الذي حملهم على ذلك، طغيانهم بما متعهم الله به و آباءهم.

(وَقَالُوا)

مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة:-

(لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَاتِ عَظِيمٍ)

أي: معظم عندهم، مبجل من أهل مكة، أو أهل الطائف  
كالوليد بن المغيرة و نحوه [عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ] ممن هو عندهم عظيم

قال الله ردا لاقتراحهم: (أَهْمُرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّيَ<sup>٤</sup>)

أي: أهم الخزان لرحمة الله، و بيدهم تدبيرها  
فيعطون النبوة و الرسالة من يشاءون، و يمنعونها ممن يشاءون؟

(مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا<sup>٥</sup>)

\*من الأرزاق و الأقوات

(وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)

أي: في الحياة الدنيا،

\* هذا غنيٌ و هذا فقير، و هذا قويٌ و هذا ضعيف؛

○ و الحال أن (رَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من الدنيا.

فإذا كانت معاش العباد و أرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى،  
و هو الذي يقسمها بين عباده، فيسط الرزق على من يشاء،  
و يضيقه على من يشاء، بحسب حكمته،

فرحمته الدينية، التي أعلاها النبوة و الرسالة، أولى و أحرى أن تكون بيد الله  
تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

فعلم أن اقتراحهم ساقط لاغ،

و أن التدبير للأمور كلها، دينيها و دنيويها، بيد الله وحده  
هذا إقناع لهم، من جهة غلطهم في الاقتراح،

الذي ليس في أيديهم منه شيء، إن هو إلا ظلم منهم ورد للحق.

و قولهم: (لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)

لو عرفوا حقائق الرجال و الصفات التي بها يعرف علو قدر الرجل و عظم  
منزلته عند الله و عند خلقه

لعلموا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ هو :-

أعظم الرجال قدرا،

و أعلاهم فخرا،

و أكملهم عقلا و أغزرهم علما،

و أجملهم رأيا و عزما و حزما،



و أكملهم خلقا، و أوسعهم رحمة،  
و أشدهم شفقة، و أهداهم و أتقاهم.  
و هو قطب دائرة الكمال،  
و إليه المنتهى في أوصاف الرجال  
ألا و هو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه و أعداؤه،  
○ فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثقال ذرة من كماله؟!  
و من جرمه ومنتهى حمقه أن جعل إلهه الذي يعبد ويدعوه ويتقرب إليه  
صنما، أو شجرا، أو حجرا، لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع،  
و هو كل على مولاه، يحتاج لمن يقوم بمصالحه،  
فهل هذا إلا من فعل السفهاء و المجانين؟  
فكيف يجعل مثل هذا عظيما؟  
أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم ﷺ؟  
و لكن الذين كفروا لا يعقلون.  
و في هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على  
بعض في الدنيا

(لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا)

أي: لِيَسَّخِرَ بعضهم بعضا، في الأعمال و لحرف و الصنائع.  
فلو تساوى الناس في الغنى، و لم يحتج بعضهم إلى بعض

لتعطلت كثير من مصالحهم و منافعهم.

(وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ )

\*يادخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني.

○ وفيها دليل على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى  
في الآية الأخرى:

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ

لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

(وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً )

\*الميسر: جماعة واحدة على الكفر

(لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ)

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا،

و أنه لولا لطفه و رحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئا لوسَّع الدنيا على

الذين كفروا توسيعا عظيما

و لجعل (لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ )

أي: درجا من فضة

\*\*\*سلام

(عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)

\*\*\*يُصْعِدُونَ ○ عَلَى سَطُوحِهِمْ.

وَلْيُؤْمِنُوا بآبَائِهِمْ وَسرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ  
 نَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ  
 أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ  
 فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتْكُمْ فِي الْعَذَابِ  
 مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ  
 مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُزِيلَنكَ الَّذِي  
 وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّمَا لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۚ وَسَوْفَ تُنْشَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا  
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
 مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾  
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

وَلْيُؤْمِنُوا بآبَائِهِمْ وَسرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ  
 لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

(وَلِبِئَتِهِمْ آتُونَكَ وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ )

من فضة، و لجعل لهم

(وَزُخْرَفًا<sup>٤</sup>)

\*الميسر: و جعلنا لهم ذهباً

○أى: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، و أعطاهم ما يشتهون  
و لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر  
و كثرة المعاصي بسبب حب الدنيا  
ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا  
لمصالحهم،

و أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة،

و أن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدره، فانية

(وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا )

\*\*\*إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ الزَّائِلَةِ الْحَقِيرَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَيُّ:  
يُجْعَلُ لَهُمْ بِحَسَنَاتِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا مَأْكَلٌ وَ مَشَارِبٌ،  
لِيُؤَفُّوا الْآخِرَةَ وَ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنَةٌ يُجْزِيهِمْ بِهَا

صحيح مسلم

(٢٨٠٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَ يُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا،  
حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يَجْزِي بِهَا» (١)  
\*\*\*صحيح الجامع الصغير

٦ - ٣- قال النبي ﷺ: - آكل كما يأكل العبد  
فوا الذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى  
منها كافرا كاسا"  
\*\*\*البخارى:-

٢٤٦٨- قال عمر رضي الله عنه فَجِئْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ:-  
اسْتَأْذِنُ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا  
فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي قَالَ:- أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ،  
فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ،  
قَدْ أَثَرُ الرِّمَالِ بِجَنْبِهِ مَتَكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ

.....  
قال عمر رضي الله عنه ثُمَّ رَفَعْتُ بَصْرِي فِي بَيْتِهِ  
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهْبَةٍ ثَلَاثَةٍ،  
فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَيَّ أَمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ،  
وَاعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَانَ مَتَكِنًا  
قال النبي ﷺ:-

أَوْفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ  
أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَبِيبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
\*\*\*صحيح البخاري :-

---

١ (إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة) معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته والظلم يطلق  
بمعنى النقص (أفضى إلى الآخرة) أي صار إليها]  
الزخرف- جزء ٢٥- ١١م- ص ٤٩٢  
٣

٤٩١٣-أَمَّا تَرَضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَ لَنَا الْآخِرَةُ

\*\*\* صحيح البخاري

٥٤٢٦ - قال النبي ﷺ

«لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ،

وَلَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا

فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَنَا فِي الْآخِرَةِ»

\*\*\* وَإِنَّمَا خَوَّلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِحَقَارَتِهَا

\*\*\* سنن الترمذي

٢٣٢٠ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ

(وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ )

و أن الآخرة عند الله تعالى خير

(لِلْمُتَّقِينَ )

لربهم بامتنال أوامره و اجتناب نواهيه

لأن نعيمها تام كامل من كل وجه،

و في الجنة ما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين، و هم فيها خالدون،

فما أشد الفرق بين الدارين

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾

وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾

حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾

وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَكْمُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال:

قرين الشيطان

(وَمَنْ يَعِشْ)

أي: يعرض و يصد

\*\*\*وَ الْعِشَا فِي الْعَيْنِ: ضَعْفُ بَصَرِهَا. وَ الْمُرَادُ هَاهُنَا: عِشَا الْبَصِيرَةِ

(عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ)

الذي هو القرآن العظيم الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده  
○ فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، و فاز بأعظم المطالب و الرغائب

(نَقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)

○ و من أعرض عنها و ردها، فقد خاب و خسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا

و قِصَ لَهُ الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه و يصاحبه، و يعده و يمينه،

و يؤزه إلى المعاصي أزا

\*\*\*وَ كَقَوْلِهِ: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصَّف: ٥]

وَ كَقَوْلِهِ: {وَقَيضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}

[فُصِّلَتْ: ٢٥]



(وَلَا تَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ)

أي: الصراط المستقيم، و الدين القويم

(وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ)

بسبب تزيين الشيطان للباطل و تحسينه له،

و إغراضهم عن الحق، فاجتمع هذا و هذا.

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، و ليس كذلك؟

قيل: لا عذر لهذا و أمثاله، الذين مصدر جهلهم الإغراض عن ذكر الله،

مع تمكنهم على الاهتداء،

فرهدوا في الهدى مع القدرة عليه، و رغبوا في الباطل،

فالذنب ذنبهم، و الجرم جرمهم.

فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه،

و هو الضلال و الغي، و انقلاب الحقائق.

و أما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، و هو:-

إظهار الندم و التحسر، و الحزن الذي لا يجبر مصابه، و التبري من قرينه،

و لهذا قال تعالى: -

(حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ)

\*\*\* ما بين المشرق و المغرب

وَ إِنَّمَا اسْتَغْمِلَ هَاهُنَا تَغْلِيْبًا كَمَا يُقَالُ:-

الْقَمَرَانِ، وَ الْعُمَرَانِ، وَ الْأَبْوَانِ، وَ الْعُسْرَانِ

(فَيْسَ الْقَرَيْنِ)

كما في قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \*  
يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا )

و قوله تعالى: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ )

أي: و لا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم و قرناؤكم و أخلاؤكم  
و ذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه و عذابه.

○ و لن ينفعكم أيضا، روح التسلي في المصيبة،

فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، و اشترك فيها المعاقبون:-

هان عليهم بعض الهون، و تسلى بعضهم ببعض،

و أما مصيبة الآخرة:-

فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة حتى و لا هذه الراحة

نسألك يا ربنا العافية، و أن تريحنا برحمتك.

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم

مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ <sup>ط</sup> إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾

وَلِأَنَّهُ لَذِكْرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ <sup>ط</sup> وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ مسليا له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له  
و أنهم لا خير فيهم، و لا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى:

(أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ)

أي: الذين لا يسمعون

(أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى)

الذين لا يبصرون، أو تهدي

(وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

أي: بَيِّن واضح، لعلمه بضلاله، و رضاه به.

فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات،

و الأعمى لا يبصر،

و الضال ضلالا مبينا لا يهتدي،

فهؤلاء قد فسدت فطرهم و عقولهم، بإعراضهم عن الذكر،

و استحدثوا عقائد فاسدة، و صفات خبيثة:-

١- تمنعهم و تحول بينهم و بين الهدى

٢- و توجب لهم الازدياد من الردى

فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم و نكالهم:-

إما في الدنيا أو في الآخرة، و لهذا قال تعالى:

(فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ )

\*الميسر: فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين  
من قومك

○أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب،

(فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ )

فاعلم بخبرنا الصادق أنا منهم منتقمون.

( أَوْ نُرِيَنَّكَ الْآزَى وَعَذَتَهُم )

من العذاب

\*الميسر: كيوم «بدر»

(فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ )

و لكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيره  
فهذه حالك و حال هؤلاء المكذبين.

توجيهات للنبي ﷺ ٤٣-٤٥

و أما أنت ( فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ )

فعلا و اتصافا، بما يأمر بالاتصاف به و دعوة إليه،

و حرصا على تنفيذه في نفسك و في غيرك

(إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

موصول إلى الله و إلى دار كرامته،

و هذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به و الاهتداء إذا علمت أنه حق  
و عدل و صدق، تكون بانيا على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الشكوك  
و الأوهام، و الظلم و الجور.

(وَلِأَنَّهُ)

أي: هذا القرآن الكريم

(لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)

أي: فخر لكم، و منقبة جليلة، و نعمة لا يقادر قدرها، و لا يعرف وصفها  
و يذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي و الآخروي، و يحشكم عليه،  
و يذكركم الشر و يرهبكم عنه،

(وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ)

عنه هل قمتم به فارتفعتم و انتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم  
و كفرا منكم بهذه النعمة؟

(وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ)

حتى يكون للمشركين نوع حجة، يتبعون فيها أحدا من الرسل،

فإنك لو سألتهم و استخبرتهم عن أحوالهم، لم تجد أحدا منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل، من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى:

**(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦]**

و كل رسول بعثه الله، يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فدل هذا أن المشركين:-

ليس لهم مستند في شركهم لا من عقل صحيح، و لا نقل عن الرسل.

**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ**

**رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾**

( ٤٦ - ٥٦ ) إلى آخر القصة.

لما قال تعالى:

**(وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ )**

بين تعالى حال موسى و دعوته، التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل، و لأن الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فذكر حاله مع فرعون

قصة موسى مع فرعون ٤٦-٥٦

فقال: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا )**

التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، و الحية، و إرسال الجراد، و القمل، إلى آخر الآيات.

**(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ )**

فدعاهم إلى الإقرار بربهم، و نهاهم عن عبادة ما سواه.

( فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ )

أي: ردوها و أنكروها، و استهزأوا بها، ظلما و علوا

فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها.

وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ  
 يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ  
 ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ  
 قَالَ يَنْتَوِمُ إِلَيْكَ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ  
 ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ  
 أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِبِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ  
 قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ  
 فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾  
 ✨ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾  
 وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾  
 إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾  
 وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾



وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾

و لهذا قال: (وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا )

أي: الآية المتأخرة أعظم من السابقة

(وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ )

كالجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، آيات مفصلات

(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ )

إلى الإسلام، و يذعنون له، ليزول شركهم و شرهم.

وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

(وَقَالُوا )

عندما نزل عليهم العذاب:-

(يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ )

يعنون موسى عليه السلام وهذا:-

○ إما من باب التهكم به،

○ و إما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحاً

فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماؤهم،

و هم السحرة،

فقالوا: ( وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ )

أي: بما خصك الله به، و فضلك به، من الفضائل و المناقب  
أن يكشف عنا العذاب

(عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ )

إن كشف الله عنا ذلك.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾

أي: لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، و استمروا على كفرهم. و هذا كقوله تعالى:

{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ  
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٥١) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا  
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ  
إِسْرَائِيلَ (٥٢) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوءِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ {  
[الاعراف: ١٣٣ - ١٣٥]

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ آلِيَسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْرًا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي

هُوَ مِهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَلَاءَ مَعَهُ

الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَسِيقِينَ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّاءَ اسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ )

قَالَ مستعليا بباطله، قد غره ملكه، و أطغاه ماله و جنوده:-

( قَالَ يَنْقُورِ الْيَسَّ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ )

أي: ألسـت المالك لذلك، المتصرف فيه

( وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِىٰ )

أي: الأنهار المنسحبة من النيل، في وسط القصور و البساتين

( أَفَلَا تُبْصِرُونَ )

هذا الملك الطويل العريض، و هذا من جهله البليغ،

حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، و لم يفخر بأوصاف حميدة، و لا أفعال  
سديدة.

( أَمْرًا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ )

يعني - قبحه الله- بالمهين، موسى بن عمران كليم الرحمن

الوجيه عند الله، أي: أنا العزيز،

و هو الذليل المهان المحتقر فأينا خير؟ ( و ) مع هذا

( وَلَا يَكَادُ يُبِينُ )

\*\*\*يَعْنِي فِي لِسَانِهِ شَيْءٌ مِنَ الْجَمْرَةِ حِينَ وَضَعَهَا فِيهِ وَ هُوَ صَغِيرٌ.  
 \*\*\*فَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ لِيَفْقَهُوا قَوْلَهُ  
 وَ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}

[طه: ٢٦]

وَ بِتَقْدِيرٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ لَمْ يَسْأَلِ إِزَالَتَهُ، كَمَا قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ  
 وَ إِنَّمَا سَأَلَ زَوَالَ مَا يَحْصُلُ مَعَهُ الْإِبْلَاجُ وَ الْإِفْهَامُ،  
 فَلِأَشْيَاءِ الْخَلْقِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ لَا يُعَابُ بِهَا وَ لَا يُذَمُّ عَلَيْهَا،  
 وَ فَرَعُونَ وَ إِنْ كَانَ يَفْهَمُ وَ لَهُ عَقْلٌ فَهُوَ يَذَرِي هَذَا،  
 وَ إِنَّمَا أَرَادَ التَّرْوِيجَ عَلَى رَعِيَّتِهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا جَهْلَةً أَغْبِيَاءَ  
 ○ عما في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح اللسان

و هذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه،  
 و لو كان ثقيلا عليه الكلام.

ثم قال فرعون: - (فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ )

\*\*\*ما يجعل في الايدي من الحل

○ أي: فهلا كان موسى بهذه الحالة أن يكون مزيينا مجملا بالحلي و الأساور؟

(أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْتَرِنِينَ )

يعاونونه على دعوته، و يؤيدونه على قوله.

( فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ )

أي: - استخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه

التي لا تسمن و لا تغني من جوع، و لا حقيقة تحتها،

و ليست دليلا على حق و لا على باطل،  
و لا تروج إلا على ضعفاء العقول.

○ فأي دليل يدل على أن فرعون محق، لكون ملك مصر له و أنهاره تجري  
من تحته؟

○ و أي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، و ثقل لسانه،  
و عدم تحلية الله له،

و لكنه لَقِيَ مَلَأً لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حق و باطل

(لَإِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ )

فبسبب فسقهم، قيص لهم فرعون، يزين لهم الشرك و الشر.

( فَلَمَّا ءَاسَفُونَا )

أي: أغضبونا بأفعالهم

\*\*\*أسخطونا

( أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا )

\*\*\*لِمِثْلِ مَنْ عَمِلَ بَعْمَلِهِمْ.

( وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ )

ليعتبر بهم المعتبرون، و يتعظ بأحوالهم المتعظون.

( وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ )

وَقَالُوا ۖ إِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

**\*\*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-**

مسند أحمد ط الرسالة

٢٩١٨ - عَنْ أَبِي يَحْيَى، مَوْلَى ابْنِ عَقِيلِ النَّاصِرِيِّ، قَالَ:-

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ:

لَقَدْ عَلِمْتُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ،  
فَمَا أَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا،  
فَيَسْأَلُوا عَنْهَا؟ ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا،

فَلَمَّا قَامَ، تَلَاوَمْنَا أَنْ لَا نَكُونَ سَأَلْنَاهُ عَنْهَا

فَقُلْتُ: أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ غَدًا، فَلَمَّا رَاحَ الْغَدُ،

قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، ذَكَرْتَ أَمْسَ أَنْ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ،

لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَلَا تَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ،

فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا؟

فَقُلْتُ: أَخْبَرَنِي عَنْهَا، وَعَنِ اللَّاتِي قَرَأْتَ قَبْلَهَا.

قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ:-

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ "

وَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّاصِرِيَّ تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ،

وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ،

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدٌ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ  
 اللَّهِ صَالِحًا، فَلَنْ نَكُنَّ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ.  
 قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ:-

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧]  
 قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟  
 قَالَ: يَضْجُونَ

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١]  
 قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

قصة عيسى عليه السلام ٥٧-٦٦

يقول تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا )

أي: نهي عن عبادته، و جعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام و الأنداد  
 \*الميسر: و لما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلا حين  
 خاصموا محمدا ﷺ و حاجوه بعبادة النصارى إياه،

(إِذَا قَوْمُكَ)

المكذبون لك

(مِنْهُ)

أي: من أجل هذا المثل المضروب

(يَصِدُّونَ)

أي: يستلجئون في خصومتهم لك، و يصيحون،

و يزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، و أفلجوا.

\*الميسر: إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبة

و ضجيج فرحاً و سروراً

و ذلك عندما نزل قوله تعالى

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}

و قال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى

فانزل الله قوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}

فالذي يُلْقَى في النار من آلهة المشركين من رضي بعبادتهم إياه.

(وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ )

يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، و شورك بينهم بالوعيد على من

عبدهم، و نزل أيضا قوله تعالى:

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }

و وجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: -

قد تقرر عندنا و عندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين

الذين لهم العاقبة الحسنة،

فلم سويت بينه و بينها في النهي عن عبادة الجميع؟

فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

و لم قلت: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}

و هذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟



و تناقض الحجة دليل على بطلانها،

هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة الذي فرحوا بها و استبشروا و جعلوا

يصدون و يتباشرون

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا<sup>٥</sup>)

\*\*\*مراءا

(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)

\*الميسر:-بالباطل

\*\*\*مسند أحمد

٢٢١٦٤ - عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ،

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ }

[الزخرف: ٥٨] " (١)

و هي - و لله الحمد- من أضعف الشبه و أبطلها

فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، و بين النهي عن عبادة الأصنام،

لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون،

و لا الأنبياء المرسلون، و لا من سواهم من الخلق

فأي شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

و ليس تفضيل عيسى عليه السلام، و كونه مقربا عند ربه ما يدل على:-

الفرق بينه و بينها في هذا الموضع، و إنما هو كما قال تعالى:

(إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ )

\*\*\*عيسى عليه السلام

(أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ )

بالنبوة و الحكمة و العلم و العمل،

(وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ )

يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

و أما قوله تعالى:-

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)

فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:-

١- أن قوله: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

أن ( ما ) اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح و نحوه.

٢- أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة و ما حولها،

و هم إنما يعبدون أصناما و أوثانا و لا يعبدون المسيح.

٣- أن الله قال بعد هذه الآية:-

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ )

فلا شك أن عيسى و غيره من الأنبياء و الأولياء، داخلون في هذه الآية.

ثم قال تعالى:- (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ )

أي: لجعلنا بدلکم ملائكة یخلفونکم فی الأرض،  
و یكونون فی الأرض حتی نرسل إلیهم ملائكة من جنسهم  
و أما أنتم یا معشر البشر، فلا تطیقون أن ترسل إلیکم الملائكة  
فمن رحمة الله بکم، أن أرسل إلیکم رسلا من جنسکم، تتمکنون من الأخذ  
عنهم.

وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾  
وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ  
قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ  
﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ إِلِيمٍ  
﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾  
الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَسْعَادُ لَا خَوْفٌ  
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ  
﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ  
مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ  
وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ  
﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾  
وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ

قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ <sup>ط</sup> فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا <sup>١٣</sup> إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ <sup>٦٤</sup>

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ <sup>ط</sup> فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْيَوْمِ <sup>٦٥</sup>

(وَلِإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلْسَّاعَةِ )

أي: و إن عيسى <sup>عليه السلام</sup> للدليل على الساعة،

و أن القادر على إيجادها من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم،

أو و إن عيسى <sup>عليه السلام</sup> سينزل في آخر الزمان،

و يكون نزوله علامة من علامات الساعة

(فَلَا تَمُوتُ بِهَا )

أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر.

(وَأَتَّبِعُونِ )

بامثال ما أمرتكم، و اجتناب ما نهيتكم

(هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ )

موصول إلى الله عز وجل،

(وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ <sup>ط</sup>)

عما أمركم الله به،

فإن الشيطان (إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ )

حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك.

(وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ )

الدالة على صدق نبوته و صحة ما جاءهم به من إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص، و نحو ذلك من الآيات.

(قَالَ ) لبني إسرائيل: (قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ )

النبوة و العلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي

(وَلَا يَبِينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ )

أي: أبين لكم صوابه و جوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس،

فجاء <sup>الطهارة</sup>مكملا و متمما لشريعة موسى <sup>الطهارة</sup> و لأحكام التوراة  
و أتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له، و قبول ما جاءهم به.

(فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا )

أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، و امثلوا أمره، و اجتنبوا نهيه،

و آمنوا بي و صدقوني و أطيعون.

(لِإِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ )

ففيه الإقرار بـ:—

١-توحيد الربوبية بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة

و الباطنة

٢- و الإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له،  
و إخبار عيسى عليه السلام أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى:-  
« إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة »

و الإخبار بأن (هَذَا)  
المذكور

**صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** )

موصل إلى الله و إلى جنته.

فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا ( **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ** )  
المتحزبون على التكذيب

( **مِنْ بَيْنِهِمْ** )

كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة،

و رد ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة،  
وصدقوا بكل ما جاء به، و قالوا: إنه عبد الله و رسوله.

**\*\*\* اَخْتَلَفَتِ الْفِرْقُ وَ صَارُوا شِيعًا فِيهِ :-**

- ١- مِنْهُمْ مَنْ يَقْرُبُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ - وَ هُوَ الْحَقُّ -
- ٢- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ

٣- وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ اللَّهُ -تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا- وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْمِيسِرِ)

أي: ما أشد حزن الظالمين و ما أعظم خسارهم في ذلك اليوم

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَبْعَادُ لَا خَوْفٌ

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ

﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ

مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ط

وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

( هَلْ يَنْظُرُونَ )

يقول تعالى: ما ينتظر المكذبون، و هل يتوقعون

(إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً )

\*فجأة

( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ )

\*الميسر: و لا يظنون



أي: فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال من كذب بها، و استهزأ بمن جاء بها.

### جزاء المتقين و المجرمين ٦٧-٨٠

و إن ( **الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ** )

أي: يوم القيامة، المتخالين على الكفر و التكذيب و معصية الله

( **بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** )

لأن خلتهم و محبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة.

( **إِلَّا الْمُتَّقِينَ** )

للشرك و المعاصي

فإن محبتهم تدوم و تتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله

\*\*\*كُلُّ صِدَاقَةٍ وَ صَحَابَةٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ دَائِمٌ بَدَوَامِهِ.  
وَ هَذَا كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِقَوْمِهِ:

{ **إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ**

**نَاصِرِينَ** } [العنكبوت: ٢٥]

○ ثم ذكر ثواب المتقين، و أن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم

و يذهب عنهم كل آفة و شر، فيقول:-

( **يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ** )

أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور،

( **وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ** )

و لا حزن يصيبكم فيما مضى منها،

و إذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب.

( **الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا** )

أي: وصفهم الإيمان بآيات الله،

و ذلك ليشمل التصديق بها، و ما لا يتم التصديق إلا به، من العلم بمعناها  
و العمل بمقتضاها.

( **وَكَانُوا مُسْلِمِينَ** )

لله منقادين له في جميع أحوالهم،

فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر و الباطن.

( **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ** )

التي هي دار القرار

( **أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ** )

\*\*\*نظراؤكم

○أي: من كان على مثل عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة، و ولد،

و صاحب، و غيرهم.

(تُحَبَّرُونَ)

أي: تنعمون و تكرمون،

و يأتاكم من فضل ربكم من الخيرات و السرور و الأفراح و اللذات،  
ما لا تعبر الألسن عن وصفه.

(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ)

\*\*\*زَبَادِيٍّ آتِيَةِ الطَّعَامِ

(مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ط)

و هي الأكواب التي لا عـرى لها(\*\*\*لَا خَرَاطِيمَ لَهَا)

أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم،  
بأحسن الأواني و أفخرها، و هي صحاف الذهب و شرابهم، بالطف الأواني،  
و هي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.

(وَفِيهَا)

أي: الجنة

(مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ط)

و هذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم و فرح، و قرّة عين، و سرور قلب،  
فكل ما اشتتهته النفوس، من مطاعم، و مشارب، و ملابس، و مناكح،  
و لذته العيون، من مناظر حسنة، و أشجار محدقة، و نعم موقنة،

و مبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه و أفضلها،  
كما قال تعالى: (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ)

(وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، و هو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام  
نعيمها و زيادته، و عدم انقطاعه.

(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ)

الموصوفة بأكمل الصفات هي

(الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

أى: أورثكم الله إياها بأعمالكم، و جعلها من فضله جزاء لها،  
و أودع فيها من رحمته ما أودع.

(لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ)

كما في الآية الأخرى: (فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ)

(مِنْهَا)

أى: مما تتخيرون من تلك الفواكه الشهية، و الشمار اللذيذة

(تَأْكُلُونَ)

و لما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾  
 وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ<sup>ط</sup>  
 قَالَ إِنَّكُمْ مَعَكُوثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾  
 أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ<sup>ع</sup>  
 بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾  
 سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾  
 فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾  
 وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾  
 وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ  
 تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ  
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾  
 وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾  
 فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَمْكُلُكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ <sup>ط</sup>

قَالَ إِنَّكُمْ مَعَكُمُوتَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ)

الذين أجرموا بكفرهم و تكذيبهم

(فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ)

أي: منغمرون فيه، محيط بهم العذاب من كل جانب،

(خَالِدُونَ)

فيه، لا يخرجون منه أبدا

و(لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ)

\*الميسر: لا يخفف عنهم

○ العذاب ساعة بإزالته و لا بتهوين عذابه

(وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)

أي: آيسون من كل خير غير راجين للفرج و ذلك أنهم ينادون ربهم فيقولون:

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)\* قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)

و هذا العذاب العظيم، بما قدمت أيديهم،  
و بما ظلموا به أنفسهم و الله لم يظلمهم و لم يعاقبهم بلا ذنب و لا جرم.

(وَنَادُوا)

و هم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة

(يَمْكُلُ)

\*خازن النار

(لَيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ)

أي: ليمتنا فستريح، فإننا في غم شديد، و عذاب غليظ،  
لا صبر لنا عليه و لا جلد.

\*\*\*صحيح البخاري

٣٢٣٠ - عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمَنْبَرِ {وَنَادُوا يَا مَالِكُ} [الزخرف: ٧٧]

قَالَ: سُفْيَانُ: فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (وَنَادُوا يَا مَالِ) (١)

\* الجامع الصحيح للسنن والمسانيد

(طب) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما -

قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَدْعُونَ مَالِكًا: {يَا مَالِكُ لَيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ}

فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا

---

١ (يا مال) بحذف الكاف منه ترخيما و هي قراءة شاذة تعتبر كحديث من حيث الاحتجاج  
في الفقه و اللغة ولكن لا يقرأ بها في الصلاة و لا يتعبد بتلاوتها. و القراءة المتواترة

ثُمَّ يَقُولُ: {إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ}

ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ:

{رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا

ظَالِمُونَ} [المؤمنون/١٠٧]

قَالَ: فَلَا يُجِيبُهُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ:

{اٰخَسَتْوَا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ} [المؤمنون/١٠٨]

ثُمَّ يَبْأَسُ الْقَوْمُ فَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِيرُ وَ الشَّهِيْقُ

تُشْبِهُ أَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتُ الْحَمِيرِ ، أَوَّلَهَا شَهِيْقٌ ، وَآخِرُهَا زَفِيرٌ " (٢)

ف—(قَالَ)

لهم مالك خازن النار - حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضي عليهم:-

{إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ}

أي:مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدا، فلم يحصل لهم ما قصدوه،

بل أجابهم بنقيض قصدهم، و زادهم غما إلى غمهم.

ثم وبَّخهم بما فعلوا فقال: (لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ)

الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم و سعدتم

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ)

فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها.



\*\*\*وَلَكِنْ كَانَتْ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُهُ وَلَا تُقْبَلُ عَلَيْهِ  
وَأِنَّمَا تَنقَادُ لِلْبَاطِلِ وَتُعْظَمُهُ وَتَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَتَأْبَاهُ وَتُبْغِضُ أَهْلَهُ،  
فَعُودُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْمَلَامَةِ وَانْدُمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُكُمُ النَّدَامَةُ.

أَمْ أَتَرْمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ

بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالى: (أَمْ أَتَرْمُوا)

\*أحكموا

○ أبرم المكذبون بالحق المعاندون له

(أَمْرًا)

أي: كادوا كيدا، و مكروا للحق و لمن جاء بالحق، ليدحضوه،  
بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق

(أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ)

أي: محكمون أمرا، و مدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم، و ينقضه و يبطله  
و هو ما قيضه الله من الأسباب و الأدلة لإحقاق الحق و إبطال الباطل،

كما قال تعالى: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ)

\*\*\*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: ٥٠]

و ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَتَحَيَّلُونَ فِي رَدِّ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ بِحِيلٍ وَ مَكْرٍ

يَسْأَلُونَهُ، فَكَادَهُمُ اللَّهُ، وَ رَدَّ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ

(أَمْ يَحْسِبُونَ )

بجهلهم و ظلمهم

(أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ )

الذي لم يتكلموا به بل هو سر في قلوبهم

(وَيَجْزَوْنَهُمْ )

أي: كلامهم الخفي الذي يتناجون به

أي: فلذلك أقدموا على المعاصي،

و ظنوا أنها لا تبعة لها و لا مجازاة على ما خفي منها.

فرد الله عليهم بقوله: (بَلَى )

أي: إنا نعلم سرهم و نجواهم

(وَرُسُلَنَا )

الملائكة الكرام

(لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ )

كل ما عملوه و سيحفظ ذلك عليهم حتى يردوا القيامة

فيجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا

أدلة وحدانية الله ٨١-٨٩

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا

حَقًّا يَلْقَوُا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾

أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدا،  
و هو الواحد الأحد الفرد الصمد،  
الذي لم يتخذ صاحبة و لا ولدا، و لم يكن له كفوا أحد.

(قُلْ)

يا محمد\*\*\*

(إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ)

\*\*\*فَلَوْ فَرَضَ كَانَ هَذَا وَ لَكِنْ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى  
وَ الشَّرْطُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْوُقُوعُ وَ لَا الْجَوَازُ أَيُّضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
{لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ} [الزمر: ٤]

○ لذلك الولد، لأنه جزء من والده و أنا أول الخلق انقيادا للأمور المحبوبة  
لله، و لكني أول المنكرين لذلك، و أشدهم له نفيا،  
فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل،  
و أنه إذا علم أنهم أكمل الخلق،  
و أن كل خير فهم أول الناس سبقا إليه و تكميلا له،  
و كل شر فهم أول الناس تركا له و إنكارا له وبعدا منه،

فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق،  
لكان محمد بن عبد الله ﷺ أفضل الرسل أول من عبده و لم يسبقه إليه  
المشركون.

و يحتمل أن معنى الآية:-

لو كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله،  
و من عبادتي لله، إثبات ما أثبتته، و نفى ما نفاه  
فهذا من العبادة القولية الاعتقادية،  
و يلزم من هذا، لو كان حقاً، لكنت أول مثبت له  
فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين و فسادها، عقلاً و نقلاً.

( **سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْمَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** )

من الشريك و الظهير، و العوين، و الولد، و غير ذلك، مما نسبته إليه  
المشركون.

( **فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا** )

بالباطل (\*\*\*) في جهلهم و ضلالهم)

( **وَلْيَعْبُوا** )

\*الميسر: في دنياهم

○ بالمحال فعلموهم ضارة غير نافعة،

و هي الخوض و البحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق و ما جاءت به  
الرسل،

و أعمالهم لعب و سفاهة، لا تزكي النفوس، و لا تثمر المعارف.  
و لهذا توعدهم بما أمامهم من يوم القيامة

فقال: (حَقٌّ يُلْقَوْنَ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)

فسيعلمون فيه ماذا حصلوا و ما حصلوا عليه من الشقاء الدائم و العذاب  
المستمر.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ

إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يخبر تعالى (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ)

أنه وحده المألوه المعبود في السماوات و الأرض

فأهل السماوات كلهم و المؤمنون من أهل الأرض يعبدونه و يعظمونه

و يخضعون لجلاله و يفتقرون لكماله.

**(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ  
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا )**

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألوه الخلائق كلهم، طائعين مختارين،  
و كارهين. و هذه كقوله تعالى :-

**(وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ)**

أى: ألوهيته و محبته فيهما

و أما هو فهو فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله

**(وَهُوَ الْحَكِيمُ )**

الذي أحكم ما خلقه، و أتقن ما شرعه

فما خلق شيئاً إلا لحكمة، و لا شرع شيئاً إلا لحكمة،

و حكمه القدري و الشرعي و الجزائي مشتمل على الحكمة

**(الْعَلِيُّ )**

بكل شيء، يعلم السر و أخفى، و لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي  
و السفلي، و لا أصغر منها و لا أكبر.

**(وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ )**

تبارك بمعنى تعالى و تعاضم، و كثر خيره، و اتسعت صفاته، و عظم ملكه.

○ و لهذا ذكر سعة ملكه للسموات و الأرض

(وَمَا يَنْتَهُمَا)

و سعة علمه و أنه بكل شيء عليم،  
حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب و التي لم يطلع عليها أحد من  
الخلق، لا نبي مرسل، و لا ملك مقرب،

و لهذا قال: (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)

قدم الظرف، ليفيد الحصر أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو،  
و من تمام ملكه و سعته، أنه مالك الدنيا و الآخرة،

و لهذا قال: (وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ)

أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل،  
و من تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئاً  
و لا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه.

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ)

أي: كل من دعي من دون الله، من الأنبياء و الملائكة و غيرهم،  
لا يملكون الشفاعة و لا يشفعون إلا بإذن الله و لا يشفعون إلا لمن ارتضى

و لهذا قال: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ)

أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به،

و يشترط أن تكون شهادته بالحق و هو :-

## ١- الشهادة لله تعالى بالوحدانية

٢- و لرسله بالنبوة و الرسالة و صحة ما جاءوا به من :-

أصول الدين و فروعه، و حقائقه و شرائعه

فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين،

و هؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه.

(وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

\*الميسر: حقيقة ما أقرأوا و شهدوا به.

ثم قال تعالى: (وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)

أي: و لئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية،

و من هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له.

(فَأَنَّهُ يُؤَفِّكُونَ)

أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله و الإخلاص له وحده؟!

فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية،

و هو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك.

(وقيل: )

\*\*\*شَكَاَ إِلَىٰ رَبِّهِ شَكْوَاهُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ،

فَقَالَ: (يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ)

\*\*\*كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَىٰ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ:-



{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الْفُرْقَان: ٣٠]

هذا معطوف على قوله:- (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ )

أي: و عنده علم قبله

أي: الرسول ﷺ شاكيا لربه تكذيب قومه متحزنا على ذلك متحسرا على عدم إيمانهم

فالله تعالى عالم بهذه الحال، قادر على معاجلتهم بالعقوبة  
و لكنه تعالى حلیم، يمهل العباد و يستأني بهم، لعلهم يتوبون و يرجعون  
و لهذا قال: (فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ)

\*\*\*عن المشركين

(وَقُلْ سَلَامٌ)

\*\*\*لَا تَجَاوِبُهُمْ بِمِثْلِ مَا يُخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ  
وَ لَكِنْ تَأَلَّفَهُمْ وَ أَصْفَحْ عَنْهُمْ فِعْلاً وَ قَوْلًا  
\*\*\*هَذَا تَهْدِيدٌ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمْ،  
وَ لِهَذَا أَحَلَّ بِهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ، وَ أَعْلَى دِينَهُ وَ كَلِمَتَهُ،  
وَ شَرَعَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجِهَادَ وَ الْجِلَادَ،  
حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْمَشَارِقِ  
وَ الْمَغَارِبِ.

○أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أذيتهم القولية و الفعلية،

و اعف عنهم، و لا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب  
و البصائر الجاهلين كما قال تعالى عن عباده الصالحين:-

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) أى: خطابا بمقتضى جهلهم  
(قَالُوا سَلَامًا )

فامتثل ﷺ لأمر ربه، و تلقى ما يصدر إليه من قومه و غيرهم من الأذى  
بالعفو و الصفح،  
و لم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم و الخطاب الجميل.  
فصلوات الله و سلامه على من خصه الله بالخلق العظيم  
الذي فضل به أهل الأرض و السماء و ارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء.  
(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)

أي: غِبَّ ذُنُوبَهُمْ، و عاقبة جرمهم.  
تم تفسير سورة الزخرف

## ٤٤- سورة الدخان - مكية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ٤  
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ٤  
إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑥  
رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٥ إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ⑦ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ⑧ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ  
⑨ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ⑩ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ⑪ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑫ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ  
رَسُولٌ مُّبِينٌ ⑬ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُونَ ⑭ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا ٤  
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ⑮ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ⑯  
❖ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ⑰  
أَن أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑱

حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ  
 إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا  
 إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑥  
 رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ⑦ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ⑧  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ⑨  
 بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ⑩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ⑪  
 يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑫ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ  
 ⑬ أَفْنَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑭ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ  
 وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑮ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ⑯  
 يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ⑰

نزول القرآن ٦-١

(حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ )

هذا قسم بالقرآن على القرآن

فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ )

أنه أنزله

## (فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ)

أى: كثيرة الخير و البركة و هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر  
فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي و الأيام على أفضل الأنام بلغة العرب  
الكرام

### لينذر به قوما :-

١- عمتهم الجهالة

٢- و غلبت عليهم الشقاوة

فيستضيئوا بنوره و يقتبسوا من هداه و يسيروا وراءه

فيحصل لهم الخير الدنيوي و الخير الأخروي

\*\*\*كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [الْقَدْرِ: ١]

وَ كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥]

و لهذا قال:- {إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}

\*\*\*مُعَلِّمِينَ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَضُرُّهُمْ شَرْعًا لِنَقُومَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

(فِيهَا)

أى: في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن

(يُفَرِّقُ كُلَّ أَمْرٍ)

أى: يفصل و يميز و يكتب كل أمر قدري و شرعي حكم الله به

و هذه الكتابة و الفرقان الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب  
و تميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق و آجالهم  
و أرزاقهم و أعمالهم و أحوالهم  
ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد و هو في بطن  
أمه،

ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا و كل به كراما كاتبين يكتبون و يحفظون عليه  
أعماله

ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة

(حَكِيم)

\*\*\*مُحَكَّمٌ لَا يُبَدِّلُ وَلَا يُغَيِّرُ

و كل هذا من تمام علمه و كمال حكمته و إتقان حفظه واعتناؤه تعالى  
بخلقه.

(أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا<sup>ع</sup>)

\*\*\*جَمِيعَ مَا يَكُونُ وَ يَقْدَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَا يُوحِيهِ فَبِأَمْرِهِ وَ إِذْنِهِ وَ عِلْمِهِ  
○أى: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا.

(إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ )

لِلرَّسْلِ وَ مَنْزِلِينَ لِلْكِتَابِ وَ الرِّسْلِ تَبْلُغُ أَوَامِرَ الْمُرْسَلِ وَ تَخْبِرُ بِأَقْدَارِهِ،

(رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ<sup>ع</sup>)

أي: إن إرسال الرسل و إنزال الكتب التي أفضّلها القرآن رحمة من رب العباد بالعباد،

فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب و الرسل،  
و كل خير ينالونه في الدنيا و الآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ)

أي: يسمع جميع الأصوات

(الْعَلِيمُ)

و يعلم جميع الأمور الظاهرة و الباطنة  
و قد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله و كتبه  
فرحمهم بذلك و من عليهم فله تعالى الحمد و المنة و الإحسان.

بيان قدرة الله ٧-٨

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)

أي: خالق ذلك و مدبره و المتصرف فيه بما شاء

(إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ)

أي: عالمين بذلك علما مفيدا لليقين

فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق و لهذا قال:-(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)

أي: لا معبود إلا وجهه

(يُحْيِي وَيُمِيتُ)

أي: هو المتصرف وحده بالإحياء و الإماتة  
و سيجمعكم بعد موتكم فيجزىكم بعملكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر

(رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ )

أي: رب الأولين و الآخرين مريهم بالنعم الدافع عنهم النقم.

\*\*\*كَقَوْلِهِ {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الْأَعْرَافِ: ١٥٨]

○ فلما قرر تعالى ربوبيته و ألوهيته بما يوجب العلم التام

و يدفع الشك أخبر أن الكافرين مع هذا البيان

موقف المشركين من الدعوة و القرآن ٩-١٦

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ )

أي: منغمرون في الشكوك و الشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا  
باللعب الباطل الذي لا يجدي عليهم إلا الضرر.

(فَارْتَقِبْ )

أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب و آن أوانه

(يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ )

\* جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

\* صحيح البخاري

٤٨٢١ عن مسروق قال: قال عبد الله:



إِنَّمَا كَانَ هَذَا، لَأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ  
بَسَنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ،

فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ

فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ

فِيرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا

عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١١]

قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضِرٍّ، فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ

قَالَ: «لِمُضِرِّهِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ»

فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسَقُوا فَنَزَلَتْ: {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: ١٥]

فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرِّفَاهِيَّةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمْ الرِّفَاهِيَّةُ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ}

[الدخان: ١٦] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: فَقَدْ مَضَى خَمْسَةٌ: -

الدُّخَانُ وَ الرُّومُ وَ الْقَمَرُ وَ الْبَطْشَةُ وَ الزَّلْزَامُ.

\*صحيح مسلم

(٢٧٩٨) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ:

تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفْسِرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ يُفْسِرُ هَذِهِ الْآيَةَ:

{يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: ١٠]

قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ،

فَيَأْخُذُ بَأَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ،  
فَإِنَّ مَنْ فَقَهُ الرَّجُلُ أَنْ يَقُولَ لَمَّا لَمْ يَعْلَمْ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ  
إِنَّمَا كَانَ هَذَا، أَنْ قَرِيشًا لَمَّا اسْتَعَصَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ  
«دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَنِينَ كَسَنِي يُوسُفُ»

فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ  
فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ  
فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِمُضَرَّةٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا  
فَقَالَ: «لِمُضَرٍ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ»

قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:-

{إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: ١٥]

قَالَ: فَمَطَرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرِّفَاهِيَّةُ

قَالَ: عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}

[الدخان: ١١]

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦]

قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ

\*\*\*صحيح مسلم

(٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ:

اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ

فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ  
 قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ -  
 فَذَكَّرَ - الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ، وَ الدَّابَّةَ، وَ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،  
 وَ نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ  
 وَ يَأْجُوجَ وَ مَاجُوجَ،  
 وَ ثَلَاثَةَ خُسُوفٍ:-

خَسَفٌ بِالشَّرْقِ  
 وَ خَسَفٌ بِالمَغْرِبِ  
 وَ خَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ  
 وَ آخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ  
 \*\*\*صحيح البخاري

٣٠٥٥ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ:-  
 أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ  
 حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، عِنْدَ أَطْمِ بَنِي مَغَالَةَ،  
 وَ قَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ  
 فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ  
 ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟»  
 فَظَنَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأَمِيِّينَ  
 فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟  
 قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ»  
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَاذَا تَرَى؟»  
 قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَ كَاذِبٌ  
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ؟»  
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ حَبِيبًا»

قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ  
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْسَأُ، فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ»  
 قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ  
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ، فَلَنْ تَسْلُطَ عَلَيْهِ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ، فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»  
 \*\*\* قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ  
 قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذَاتَ يَوْمٍ  
 فَقَالَ: مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ.  
 قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: قَالُوا طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنَبِ،  
 فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ  
 (يَغْشَى النَّاسُ)

أى: يعمهم ذلك الدخان و يقال لهم: (هَذَا عَذَابُ أَلِيمٌ)  
 و اختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان  
 فقول: إنه الدخان الذي يغشى الناس  
 و يعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة  
 و أن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة و أمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.  
 و يؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعدهم الكفار  
 و التآني بهم و ترهيبهم بذلك اليوم و عذابه و تسلية الرسول و المؤمنين  
 بالانتظار بمن آذاهم.  
 و يؤيده أيضا أنه قال في هذه الآية:-

( أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ )

و هذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا  
فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

و قيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان  
و استكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: -

( اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف )

فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام  
و صاروا يرون الذي بين السماء و الأرض كهيئة الدخان و ليس به  
و ذلك من شدة الجوع.

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى

وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ بَجْنُونَ ﴿١٤﴾

(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ)

\*\*\*كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ

رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ٢٧]

( أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى )

\*الميسر: كيف يكون لهم التذكر و الاتعاظ بعد نزول العذاب بهم

( وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ )

وهو محمد ﷺ

(ثُمَّ تَوَلَّوْا )

\*الميسر: اعرضوا

(عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)

الميسر: علمه بشر أو الكهنة أو الشياطين هو مجنون و ليس  
برسول؟

\*\*\*يَقُولُ الْكَافِرُونَ إِذَا عَايَنُوا عَذَابَ اللَّهِ وَ عِقَابَهُ سَائِلِينَ رَفَعَهُ وَ كَشَفَهُ  
عَنْهُمْ

كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا  
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ٢٧]

وَ كَذَا قَوْلُهُ: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ  
أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم  
مِنْ زَوَالٍ} [إِبْرَاهِيمَ: ٤٤]

وَ هَكَذَا قَالَ هَاهُنَا:

{أَتَىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}  
فيكون - على هذا - قوله: ( يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ )

أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم و ما يشاهدون و ليس بدخان حقيقة.

و لم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ

و سألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم

و على هذا فيكون قوله: (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) إخبار بأن الله سيصرفه عنكم

(إِنَّكُمْ عَائِدُونَ)

و توعدهم أن يعودوا إلى الاستكبار و التكذيب و إخبار بوقوعه

(يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ)

فوقع و أن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى،

قالوا: و هي وقعة بدر و في هذا القول نظر ظاهر.

و قيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة و أنه يكون في آخر الزمان

دخان يأخذ بأنفاس الناس و يصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان

و القول هو الأول، و في الآية احتمال أن المراد بقوله:

(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ)

و أن قوله تعالى

(إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا

مُنْقِمُونَ)

أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم

و إذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة و هذا الذي يظهر عندي و يترجح و الله أعلم

\*\*\*يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ:-

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَقُولُهُ تَعَالَى:

وَلَوْ كَشَفْنَا عَنْكُمْ الْعَذَابَ وَ رَجَعْنَاكُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا  
لَعُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ التَّكْذِيبِ

كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}  
[المؤمنون: ٧٥]

وَ كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٨]  
وَ الثَّانِي:-

أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:-

إِنَّا مُؤَخِّرُو الْعَذَابِ عَنْكُمْ قَلِيلًا بَعْدَ انْعِقَادِ أَسْبَابِهِ وَ وُصُولِهِ إِلَيْكُمْ  
وَ أَنْتُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَ الضَّلَالِ  
وَ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْكَشْفِ عَنْهُمْ أَنْ يَكُونَ بَاشَرُهُمْ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [يونس: ٩٨]

وَ لَمْ يَكُنِ الْعَذَابُ بَاشَرَهُمْ وَ اتَّصَلَ بِهِمْ بَلْ كَانَ قَدْ انْعَقَدَ سَبَبُهُ وَ وُصُولُهُ  
عَلَيْهِمْ، وَ لَا يَلْزَمُ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا قَدْ أَقْلَعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ  
ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شُعَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ قَالُوا:



{لُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ

مِنْهَا} [الأعراف: ٨٨، ٨٩]

وَشُعَيْبٌ عليه السلام لَمْ يَكُنْ قَطُّ عَلَى مِلَّتِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ.

❖ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾

أَن أَدُّوْا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧ - ٣٣﴾ إلى آخر القصة.

لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمد ﷺ ذكر أن لهم سلفا من المكذبين

فذكر قصتهم مع موسى و ما أحل الله بهم ليرتدع هؤلاء المكذبون عن ما هم عليه فقال:

قصة قوم فرعون ١٧-٣٨

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ )

أي: ابتليناهم و اختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم الذي فيه من الكرم و مكارم الأخلاق ما ليس في غيره.

( أَن أَدُّوْا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ )

أي: قال لفرعون و ملئه: أدوا إلي عباد الله،

يعني بهم: بني إسرائيل

أي: أرسلوهم و أطلقوهم من عذابكم و سومكم إياهم سوء العذاب

فإنهم عشيرتي و أفضل العالمين في زمانهم.  
و أنتم قد ظلمتموهم و استعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم  
\*\*\*كَقَوْلِهِ: { فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ  
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى } [طه: ٤٧] .

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ)

أي: رسول من رب العالمين

(أَمِينٌ)

على ما أرسلني به لا أكتكم منه شيئاً  
و لا أزيد فيه و لا أنقص و هذا يوجب تمام الانقياد له.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ <sup>ط</sup> إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَلِيَّ عِزَّتِي بَرِيٌّ وَرَبِّكُمْ  
أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تَوُفُّوْا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ  
﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ  
مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾  
وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾  
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ  
مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾  
وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا مَا فِيهِ  
بَلَكُوتٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ  
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَنُؤَا بِعَابَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّ  
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ <sup>ط</sup>)

بالاستكبار عن عبادته و العلو على عباد الله

(إِنِّي مَآتِكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ )

أي: بحجة بينة ظاهرة و هو ما أتى به من المعجزات الباهرات و الأدلة القاهرات، فكذبوه و همُّوا بقتله فلجأ بالله من شرهم فقال:-

(وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ )

أي: تقتلونني أشر القتلات بالرجم بالحجارة.

(وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي )

أي: لكم ثلاث مراتب:-

١-الإيمان بي و هو مقصودي منكم

٢-فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة (فَاعْتَرِلُونِ) -

لا علي و لا لي فاكفوني شركم.

٣-فلم تحصل منهم المرتبة الأولى و لا الثانية

بل لم يزلوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عليه السلام غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.

\*\*\*{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [يُونُسَ: ٨٨ - ٨٩]

(فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ )

أي: قد أجرموا جرما يوجب تعجيل العقوبة.

فأخبر عليه السلام بحالهم و هذا دعاء بالحال التي هي أبلغ من المقال

كما قال عن نفسه عليه السلام (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

( فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ )

فأمره الله أن يسري بعباده ليلا و أخبره أن فرعون و قومه سيتبعونه

\*\*\*كَمَا قَالَ: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي

الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَخَشْيَ} [طه: ٧٧]

( وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا )

أي: بحاله

و ذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون

فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه

فصار اثني عشر طريقا و صار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة

فسلكه موسى وقومه.

فلما خرجوا منه أمره الله أن يتركه رهوا أي: - بحاله ليسلكه فرعون و جنوده

( إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ )

فلما تكامل قوم موسى خارجين منه و قوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى

أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم و تركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

و أورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم

و لهذا قال: **(كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ)**

\*\*\*بساتين

**(وَعُيُونٍ)**

\*\*\*الآبار و الأنهار

**(وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ)**

\*\*\*و هِيَ الْمَسَاكِنُ الْكَرِيمَةُ الْأَنْيَقَةُ وَ الْأَمَاكِنُ الْحَسَنَةُ.

**(وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَنَكِهِينَ)**

\*\*\*عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا

وَ يَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا مَعَ الْأَمْوَالِ وَ الْجَاهَاتِ وَ الْحُكْمِ فِي الْبِلَادِ

فَسَلَبُوا ذَلِكَ جَمِيعَهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ

وَ فَارَقُوا الدُّنْيَا وَ صَارُوا إِلَى جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ

وَ اسْتَوَلَى عَلَى الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَ تِلْكَ الْحَوَاصِلِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ وَ الْمَمَالِكِ الْقِبْطِيَّةِ

بَنُو إِسْرَائِيلَ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}** [الشُّعَرَاءِ: ٥٩]

\*\*\*وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه

قَالَ: أَنَّى ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ:-

**{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}**

فَهَلْ تَبْكِي السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟

قَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَ لَهُ بَابٌ فِي السَّمَاءِ مِنْهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُ  
وَ فِيهِ يَصْعَدُ عَمَلُهُ،

فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ فَأُغْلِقَ بَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ  
وَ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ بِكَى عَلَيْهِ،  
وَ إِذَا فَقِدَ مُصْلَاهُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا بَكَتْ  
عَلَيْهِ،

وَ إِنْ قَوْمٌ فَرَعَوْنَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ صَالِحَةٌ،  
وَ لَمْ يَكُنْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ خَيْرٌ، فَلَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ

(كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا)

أي: هذه النعمة المذكورة

(قَوْمًا آخَرِينَ)

و في الآية الأخرى (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)

\*\*\*لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ تَصْعَدُ فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَتَبْكِي عَلَى فَقْدِهِمْ  
وَ لَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بَقَاعٌ عَبَدُوا اللَّهَ فِيهَا فَقَدَتْهُمْ  
فَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَلَّا يُنْظَرُوا وَ لَا يُؤْخَرُوا لِكُفْرِهِمْ وَ إِجْرَامِهِمْ وَ عِتْوِهِمْ  
وَ عِنَادِهِمْ.

○ أي لما أتلّفهم الله و أهلكهم لم تبك عليهم السماء و الأرض

أي لم يحزن عليهم و لم يؤس على فراقهم

بل كل استبشر بهلاكهم و تلفهم حتى السماء و الأرض

لأنهم ما خلفوا من آثارهم إلا ما يسود وجوههم و يوجب عليهم اللعنة  
و المقت من العالمين

(وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ )

أي ممهلين عن العقوبة بل اصطلمتهم في الحال  
ثم امتن تعالى على بني إسرائيل

فقال ( وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ )  
الذي كانوا فيه

( مِنْ فِرْعَوْنَ )

إذ يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم

( إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا )

أي مستكبرا في الأرض بغير الحق

\*\*\*جَبَّارًا عَنِيدًا كَقَوْلِهِ: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا }  
[الْقِصَصُ: ٤]

\*\*\*وَقَوْلُهُ: { فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ } [الْمُؤْمِنُونَ: ٤٦]

وَقَوْلُهُ { فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ } [الْعَنْكَبُوتِ: ٣٩]

( مِنَ الْمُسْرِفِينَ )

المتجاوزين لحدود الله المتجرئين على محارمه  
فَكَانَ فِرْعَوْنُ سِرْفًا فِي أَمْرِهِ سَخِيفَ الرَّأْيِ عَلَى نَفْسِهِ.



(وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ )

أي اصطفييناهم و انتقيناهم

(عَلَى عِلْمٍ)

منا بهم و باستحقاقهم لذلك الفضل

(عَلَى الْعَالَمِينَ )

أي عالمي زمانهم و من قبلهم و بعدهم حتى أتى الله بأمة محمد ﷺ

ففضلوا العالمين كلهم و جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس

و امتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم

\*\*\*اخْتَبِرُوا عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ ذَلِكَ.

و كان يقال: إِنْ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالِمًا.

وَ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ}

[الأعراف: ١٤٤] أَيْ: أَهْلَ زَمَانِهِ،

وَ كَقَوْلِهِ لِمَرْيَمَ: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: ٤٢]

أَيْ: فِي زَمَانِهَا فَإِنَّ خَدِيجَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا،

وَ كَذَا آسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، أَوْ مُسَاوِيَّةٌ لَهَا فِي الْفَضْلِ،

وَ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.

\*\*\* صحيح البخاري

٣٤١١ - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

كَمَلَمِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَ لَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: -

إِلَّا آسِيَّةُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ،

وَإِنْ فَضَّلَ عَائِشَةُ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ "   
 (وَعَانَيْنَهُمْ)

أي بني إسرائيل

(مَنْ الْأَكْبَتِ)

الباهرة و المعجزات الظاهرة

(مَا فِيهِ بَلَكْتُوا مُبَيَّنٌ)

أي إحسان كثير ظاهر منا عليهم و حجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبيهم  
موسى عليه السلام

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾  
فَأَنذَرْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمُّ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِجُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
أَهْلَكَتُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

انكار المشركين للبعث و جزاؤهم ٣٤-٥٠

يخبر تعالى (إِنَّ هَؤُلَاءِ)

المكذبين

(لَيَقُولُونَ)

مستبعدين للبعث و النشور:-

(إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ)

أي: ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار

ثم قالوا - متجرئين على ربهم معجزين له - :

( فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ )

و هذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان سحيق  
فأي ملازمة بين صدق الرسول ﷺ وأنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟  
فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به و تواترت تواترا عظيما من كل  
وجه.

قال تعالى: ( أَهْمٌ خَيْرٌ )

أي: هؤلاء المخاطبون

( أَمْ قَوْمٌ تُبْغِ )

\*\*\* ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَهَدِّدًا لَهُمْ، وَ مُتَوَعِّدًا وَ مُنْذِرًا لَهُمْ بِأَسْهُ الَّذِي لَا يَرُدُّ  
كَمَا حَلَّ بِأَشْبَاهِهِمْ وَ نَظَرَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ

وَ كـ (قَوْمٌ تُبْغِ) -

وَ هُمْ سَبَأٌ- حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وَ خَرَّبَ بِلَادَهُمْ، وَ شَرَدَهُمْ فِي الْبِلَادِ  
وَ فَرَقَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ  
وَ هِيَ مُصَدَّرَةٌ بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ.  
وَ كَذَلِكَ هَاهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأَوْلِيكَ

وَ قَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانٍ كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ  
وَ قَدْ كَانَتْ حِمِيرٌ - وَ هُمْ سَبَأٌ- كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَوَهُ تَبَعًا

كَمَا يُقَالُ: كَسَرَى لِمَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ

وَ قَيْصَرَ لِمَنْ مَلَكَ الرُّومَ

وَفِرْعَوْنٌ لِّمَن مَّلَكَ مِصْرَ كَافِرًا  
وَالنَّجَاشِيُّ لِمَن مَّلَكَ الْحَبْشَةَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ.

(وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)

فإنهم ليسوا خيرا منهم و قد اشتركوا في الإجرام  
فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ (٣٨)

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)

يخبر (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ )

تعالى عن كمال قدرته و تمام حكمته

(وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ)

و أنه ما خلق السماوات و الأرض لعبا و لا لهوا أو سدى من غير فائدة

و أنه (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ )

أي: نفس خلقهما بالحق و خلقهما مشتمل على الحق،

و أنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له و ليأمر العباد و ينهاهم و يشيهم  
و يعاقبهم.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات و الأرض.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا  
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾  
 إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾  
 كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْبَثُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ  
 رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾  
 إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾  
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾  
 كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ  
 لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴿٥٥﴾  
 وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾  
 فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا  
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ)

و هو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين و الآخرين و بين كل مختلفين

(مِيقَتُهُمْ)

أي: الخلاق

(أَجْمَعِينَ)

كلهم سيجمعهم الله فيه و يحضرهم و يحضر أعمالهم و يكون الجزاء عليها

(يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا)

و لا ينفع مولى عن مولى شيئاً لا قريب عن قريبه و لا صديق عن صديقه

\*\*\*كَقَوْلِهِ: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}

[الْمُؤْمِنُونَ: ١٠١]

و كَقَوْلِهِ {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا\* يُبْصَرُونَهُمْ} [الْمَعَارِجُ: ١٠ - ١١]

أي: لَا يَسْأَلُ أَحَدًا لَهٗ عَنْ حَالِهِ وَ هُوَ يَرَاهُ عَيْنًا.

(وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)

أي: يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر

شيئاً.

\*\*\* لَا يَنْصُرُ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ، وَلَا يَأْتِيهِ نَصْرُهُ مِنْ خَارِجٍ.

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

فإنه هو الذي ينتفع و يرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها  
و سعى لها سعيها في الدنيا. ثم قال تعالى:-

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾

كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ

رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

لما ذكر يوم القيامة و أنه يفصل بين عباده فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:-

١-فريق في الجنة

٢-و فريق في السعير و هم: الآثمون بعمل الكفر و المعاصي  
و أن طعامهم

(إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ)

○ شر الأشجار و أقطعها

\*الميسر:تخرج في أصل الجحيم

(طَعَامُ الْأَثِيمِ)

\*\*\* فِي قَوْلِهِ وَ فَعَلِهِ وَ هُوَ الْكَافِرُ.

○ و أن طعمها

(كَالْمُهْل)

\*\*\* كَعَكَرَ الزَّيْتِ

○ أي: كالصديد المتن خبيث الريح و الطعم شديد الحرارة

(يَغْلِي فِي الْبُطُونِ)

في بطونهم

(كَغَلَى الْحَمِيمِ)

\*الميسر: كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة.

(خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَمِيمِ)

\*\*\*وسط

(ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ)

\*الميسر: الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.

\*\*\*كَقَوْلِهِ {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ}

[الْحَجَّ: ١٩، ٢٠]

\*\*\*وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلَكَ يَضْرِبُهُ بِمِقْمَعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، تَفْتَحُ دِمَاغَهُ

ثُمَّ يُصَبُّ الْحَمِيمُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَنْزِلُ فِي بَدَنِهِ

فَيَسْلِتُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنْ أَمْعَائِهِ حَتَّى تَمْرُقَ مِنْ كَعْبِيهِ -أَعَاذَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ.

○ و يقال للمعذب (\*\*\*) قُولُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَ التَّوْبِيخِ):-



(ذُقْ)

هذا العذاب الأليم و العقاب الوخيم

(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ )

أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله  
و أنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب،  
فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس.

(إِنَّ هَذَا)

العذاب العظيم

(مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ)

أي: تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين.

\*\*\*كَقَوْلِهِ {يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

أَفْسَحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطور: ١٣- ١٥]

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ

وَإِسْتَبْرَقٍ مَّتَقَبِّلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ

إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهٖمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِن رَّبِّكَ

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

جزاء المتقين ٥٩-٥١

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)

\*الميسر: في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات و الأحران وغير ذلك.

○ هذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه و عذابه بتركهم المعاصي و فعلهم الطاعات،

فلما انتفى السخط عنهم و العذاب ثبت لهم الرضا من الله و الثواب العظيم في ظل ظليل من كثرة الأشجار و الفواكه و عيون سارحة تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم. فأضاف الجنات إلى النعيم لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم و سرور كامل من كل وجه ما فيه منغص و لا مكدر بوجه من الوجوه. (يَلْبَسُونَ)

و لباسهم من الحرير الأخضر

(مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)

أي: غليظ الحرير و رقيقه مما تشتهيهِ أنفسهم.

(مُتَقَبِّلِينَ)

\*الميسر: يقابل بعضهم بعضاً بالوجوه

و لا ينظر بعضهم في قضا بعض يدور بهم مجلسهم حيث داروا.  
○ في قلوبهم و وجوههم في كمال الراحة و الطمأنينة و المحبة و العشرة  
الحسنة و الآداب المستحسنة.

(كَذَلِكَ)

النعيم التام و السرور الكامل

(وَزَوَّجْنَاهُمْ بِمَحَوْرٍ)

أي: نساء جميلات

من جمالهن و حسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن و ينبهر العقل بجمالهن  
و ينخلب اللب لجمالهن

(عَيْنٍ)

أي: ضخام الأعين حسانها.

(يَدْعُونَ فِيهَا)

أي: الجنة

(بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ)

مما له اسم في الدنيا و مما لا يوجد له اسم و لا نظير في الدنيا،  
فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة و أجناسها  
أحضر لهم في الحال من غير تعب و لا كلفة

(إِٰمِنِيْكَ )

من انقطاع ذلك

و آمنين من مضرتة

و آمنين من كل مكدر

و آمنين من الخروج منها و الموت

و لهذا قال: ( لَا يَذُوْقُوْنَ فِيْهَا الْمَوْتَ )

أي: ليس فيها موت بالكلية، و لو كان فيها موت يستثنى لم يستثن الموتة الأولى

(إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ)

التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب

\*\*\*صحيح البخاري

٤٧٣٠ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ

فَيُنَادِي مُنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ

فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ

ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ وَ يَنْظُرُونَ

فَيَقُولُ: وَ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَ كُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ

فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ

وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ

ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩]

وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [مريم: ٣٩]

\*\*\*صحيح مسلم

(٢٨٣٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

يُنَادِي مُنَادٌ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحَوْا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا

وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا

وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا

وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا

فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَتُودُّوْا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

[الأعراف: ٤٣]

(وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ )

أي: حصول النعيم و اندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم و كرمه

فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا خير الآخرة

و أعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم

(ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ )

و أي فوز أعظم من نيل رضوان الله و جنته و السلامة من عذابه و سخطه؟

(فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ )

أي: القرآن

(بِلِسَانِكَ)

أي: سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق و أجلها  
فتيسر به لفظه و تيسر معناه

(لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

ما فيه نفعهم فيفعلونه و ما فيه ضررهم فيتركونه.

(فَارْتَقِبْ)

أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير و النصر

(إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ)

ما يحل بهم من العذاب

و فرق بين الارتقاين:-

١-رسول الله و أتباعه يرتقبون الخير في الدنيا و الآخرة

٢-و ضدهم يرتقبون الشر في الدنيا و الآخرة

\*\*\*فَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ يَكُونُ النَّصْرُ وَ الظَّفَرُ وَ عُلُوُّ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ  
فَإِنَّهَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ وَ لِإِخْوَانِكَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ مَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ

كقوله: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الْمُجَادَلَةِ: ٢١]

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ  
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غَافِرٍ: ٥١، ٥٢]  
تم تفسير سورة الدخان، و لله الحمد و المنة

## سورة الجاثية - مكية - يس

حَمَّ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤

وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيَلَّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧

يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٩

مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ

أَلِيمٌ ١١ \* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفَاكٌ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣



يخبر تعالى خبراً يتضمن الأمر بتعظيم القرآن و الاعتناء به

و أنه (نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ )

المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال

و انفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة و الحكمة التامة.

ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية و النفسية —:—

(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ )

\*الميسر: و خلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها

(مَآبِتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ )

(وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ )

\*الميسر: و تعاقبهما عليكم

(وَمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِن السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ )

وما أنزل الله من السماء من مطر

(فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا )

بعد يبسها فاهتزت بالنبات و الزرع

○ خلق السماوات والأرض و ما بث فيهما من الدواب

و ما أودع فيهما من المنافع

و ما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد و العباد.  
فهذه كلها آيات بينات و أدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم  
و صحة ما اشتمل عليه من الحكم و الأحكام،  
و دالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال و على البعث و النشور.

(وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ )

\*\*\*جَنُوبًا وَ شَمَالًا

وَ دُبُورًا وَ صَبًا

بَحْرِيَّةً وَ بَرِّيَّةً

لَيْلِيَّةً وَ نَهَارِيَّةً

وَ مِنْهَا مَا هُوَ لِلْمَطَرِ

وَ مِنْهَا مَا هُوَ لِلْقَاحِ

وَ مِنْهَا مَا هُوَ غِذَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ

وَ مِنْهَا مَا هُوَ عَقِيمٌ لَا يَنْتِجُ

وَ قَالَ أَوَلَا {لَايَتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ}

ثُمَّ {ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}

ثُمَّ {ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

وَ هُوَ تَرَقَّى مِنْ حَالٍ شَرِيفٍ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَ أَعْلَى.

وَ هَذِهِ الْآيَاتُ شَبِيهَةٌ بِآيَةِ "الْبَقَرَةِ" وَ هِيَ قَوْلُهُ:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي

الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتَهَا وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ { [البقرة: ١٦٤]

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ)

\*\*\*الْقُرْآنَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ

تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ<sup>ط</sup>)

\*\*\*مُتَضَمِّنَةً الْحَقِّ مِنَ الْحَقِّ فَإِذَا كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَلَا يَنْقَادُونَ لَهَا

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ)

\*الميسر: فبأي حديث بعد الله و آياته و أدلته على أنه الإله الحق  
وحده لا شريك له

(يُؤْمِنُونَ)

\*يصدقون و يعملون؟

ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته و عدمه إلى قسمين: —

١- قسم يستدلون بها و يتفكرون بها و ينتفعون فيرتفعون و هم

المؤمنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر إيماناً تاماً وصل بهم  
إلى درجة اليقين،

فركى منهم العقول و ازدادت به معارفهم و ألباهم و علومهم.

٢- و قسم يسمع آيات الله سماعاً تقوم به الحجة عليه

ثم يعرض عنها و يستكبر، كأنه ما سمعها لأنها لم ترك قلبه و لا طهرته

بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه.

و أنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال:

(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ)

تهديد المكذبين بآيات ٧-١١

أي: كذاب في مقاله

(أَشِيرٍ)

في فعاله.

و أخبر أن له عذاباً أليماً

و أن (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ)

\*\*\*تقرأ عليه

(ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)

\*\*\*على كفره و جُودِهِ اسْتِكْبَارًا و عِنَادًا

(كَأَن لَّهُ يَسْمَعُهَا<sup>ط</sup>)

\*\*\*كأنه ما سمعها

(فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

\*\*\*فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذاباً أليماً موجعاً.

(وَلِإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا<sup>ج</sup>)

\*\*\*إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به و اتخذهُ سُخْرِيًّا و هُزُوًا

(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)

\*\*\* فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَهَانَ بِالْقُرْآنِ وَ اسْتَهْزَأَ بِهِ

\*\*\* صحيح مسلم

(١٨٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ:

«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ»

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(مِنْ وَرَائِهِمْ)

\*الميسر: أما هم

(جَهَنَّمَ <sup>ط</sup>)

تكفي في عقوبتهم البليغة.

و أنه (وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا)

من الأموال

(وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ <sup>ط</sup>أَوْلِيَاءَ)

\*الميسر: و لا يغني عنهم آلهتهم التي عبدوها مِنْ دُونِ اللَّهِ

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

○ يستنصرون بهم فخذلوهم أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا.

فلما بين آياته القرآنية و العيانية و أن الناس فيها على قسمين: -

أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالية أنه هدى

فقال: (هَذَا هُدًى <sup>ط</sup>)

و هذا وصف عام لجميع القرآن

فإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى :-

- ١- معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة و أفعاله الحميدة
  - ٢- و يهدي إلى معرفة رسله و أوليائه و أعدائه، و أوصافهم
  - ٣- و يهدي إلى الأعمال الصالحة
  - ٤- و يدعو إليها و يبين الأعمال السيئة و ينهى عنها
  - ٥- و يهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال
  - ٦- و يبين الجزاء الدنيوي و الآخروي
- فالمهتدون اهتدوا به فأفلحوا و سعدوا

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبَتِ رَبِّهِمْ)

الواضحة القاطعة التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه و تضاعف طغيانه

(لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ)

\*الميسر: عذاب مؤلم موجه من أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.

✳️ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾

يخبر تعالى بفضله على عباده و إحسانه إليهم بتسخير البحر لسير المراكب

و السفن بأمره و تيسيره

من نعم الله على عباده و على عباد بنى اسرائيل ١٢-٢٢

الجاثية- جزء ٢٥- ١٨م- ص ٤٩٩

(وَلْيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)

بأنواع التجارات و المكاسب

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه و أثابكم على شكركم أجرا جزيلًا.

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)

\*\*\*كقوله: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: ٥٣].

○أي: من فضله و إحسانه،

و هذا شامل لأجرام السماوات والأرض

و لما أودع الله فيهما من الشمس و القمر و الكواكب و الثوابت و السيارات

و أنواع الحيوانات و أصناف الأشجار و الثمرات و أجناس المعادن

و غير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم و مصالح ما هو من ضروراته

فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته

و أن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته و حكمه

و لهذا قال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

و جملة ذلك أن خلقها و تدبيرها و تسخيرها دال على:-

**نفوذ مشيئة الله و كمال قدرته**

و ما فيها من الإحكام و الإتقان و بديع الصنعة و حسن الخلقة دال على:-

كمال حكمته و علمه

و ما فيها من السعة و العظمة والكثرة دال على :-

سعة ملكه و سلطانه

و ما فيها من التخصيصات و الأشياء المتضادات دليل على:-

أنه الفعال لما يريد

و ما فيها من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية دليل على:-

سعة رحمته، و شمول فضله و إحسانه و بديع لطفه و بره

و كل ذلك دال على أنه:-

١-وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة و الذل و المحبة إلا له

٢-و أن رسله صادقون فيما جاءوا به

فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا و لا شكاً.



قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا  
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا  
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم تَرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ  
 وَزَفَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ  
 فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ  
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ  
 فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ  
 شَيْئًا ۖ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾  
 هَذَا بَصِيرَتُكَ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ  
 اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 سَوَاءٌ مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ<sup>ط</sup> وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا<sup>ط</sup>

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

(قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا )

يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق و الصبر على أذية المشركين به

\*\*\*صَفَحُوا عَنْهُمْ وَ يَحْمِلُوا الْأَذَى مِنْهُمْ.

وَ هَذَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَىٰ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لِيَكُونَ ذَلِكَ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ

(لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ )

أي: لا يرجون ثوابه و لا يخافون وقائعه في العاصين

\*\*\*لَا يُبَالُونَ نَعَمَ اللَّهُ.

(لِيَجْزِيَ قَوْمًا )

فإنه تعالى سيجزي كل قوم

(بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )

فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم و صفحكم و صبركم ثوابا  
جزيلًا.

و هم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد  
و الخزي و لهذا قال:-

( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ<sup>ط</sup> )

\*الميسر: من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل

( وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا<sup>ط</sup> )

و من أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى

( ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ )

\*\*\*تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَعْرَضُونَ بِأَعْمَالِكُمْ عَلَيْهِ فَيَجْزِيكُم بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا.

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ<sup>ط</sup> فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ<sup>ع</sup> إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾

نعم الله على بنى اسرائيل

( وَلَقَدْ آتَيْنَا )

أي: و لقد أنعمنا على

( بَنِي إِسْرَءِيلَ )

نعما لم تحصل لغيرهم من الناس و آتيناهم

( الْكِتَابَ )

أي: التوراة و الإنجيل

(وَالْحُكْمَ)

بين الناس

(وَالنُّبُوَّةَ)

التي امتازوا بها و صارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام أكثرهم من بني إسرائيل

(وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ)

من المأكول و المشارب و الملابس و إنزال المن و السلوى عليهم

(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)

\*\*\* في زمانهم

○ أي: على الخلق بهذه النعم

و يخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة :-

فإنهم خير أمة أخرجت للناس.

و السياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة

فإن الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل و ميزهم عن غيرهم

و أيضا فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب و الحكم و النبوة

و غيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة و زادت عليهم هذه الأمة

فضائل كثيرة فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها

فإن هذا الكتاب مهيمن على سائر الكتب السابقة و محمد ﷺ مصدق لجميع المرسلين.

(وَأَتَيْنَاهُم)

أي: آتينا بني إسرائيل

(بَيَّنْتُ)

أي: دلالات تبين الحق من الباطل

(مِّنَ الْأَمْرِ)

القدرى الذي أوصله الله إليهم.

و تلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام

فهذه النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل تقتضي الحال أن :-

١- يقوموا بها على أكمل الوجوه

٢- وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم

و لكن انعكس الأمر فـ:-

١- عاملوهما بعكس ما يجب.

٢- و افترقوا فيما أمروا بالاجتماع به

و لهذا قال:- (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ)

أي: الموجب لعدم الاختلاف

(بَغْيًا يَنْهَهُمْ)

و إنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض و الظلم.

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ )

فيميز المحق من المبطل

و الذي حمله على الاختلاف:-

الهوى أو غيـره.

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الْفَٰظِلِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ)

أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة:-

١-تدعو إلى كل خير

٢-و تنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي

(فَاتَّبِعْهَا)

فإن في اتباعها السعادة الأبدية و الصلاح و الفلاح

(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ )

أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم و لا ماشية خلفه

و هم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ أهواه و إرادته  
فإنه من أهواء الذين لا يعلمون.

\*الميسر: و في الآية دلالة عظيمة على :-

١- كمال هذا الدين و شرفه

٢- و وجوب الانقياد لحكمه

٣- و عدم الميل إلى أهواء الكفرة و الملحدين

(إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا )

أي: لا ينفعونك عند الله فـ:—

١- يحصلوا لك الخير

٢- و يدفعوا عنك الشر [ إن اتبعتهم على أهوائهم ]

(وَإِنَّ الظَّالِمِينَ )

\*الميسر: المتجاوزين حدود الله

(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ )

\*الميسر: من المنافقين و اليهود و غيرهم

(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ )

\*الميسر: أنصار بعض على المؤمنين بالله و أهل طاعته

○ و لا تصلح أن توافقهم و تواليهم فإنك و إياهم متباينون

و بعضهم ولي لبعض

(وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ )

\*الميسر: ناصر المتقين ربهم بأداء فرائضه و اجتناب نواهيه.  
○ يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم و عملهم بطاعته.

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

أي: (هَذَا )

القرآن الكريم و الذكر الحكيم

(بَصَائِرُ لِلنَّاسِ )

أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس

(وَهُدًى وَرَحْمَةٌ )

فيحصل به الانتفاع للمؤمنين و الهدى و الرحمة.

(لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ )

\*الميسر: بحقيقة صحته، و أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

ف: \_\_\_\_\_

١- يهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين و فروعه

٢- و يحصل به الخير و السرور و السعادة في الدنيا و الآخرة و هى الرحمة.

ف: \_\_\_\_\_

١- تزكو به نفوسهم

٢- و تزداد به عقولهم

٣- و يزيد به إيمانهم و يقينهم



٤-و تقــــوم به الحجة على من أصر و عاند.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَوَاءٌ مَنِّيَاهُمْ وَمَمَائِهِمْ<sup>٤</sup> سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١﴾

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ )

\*\*\*عَمِلُوهَا وَ كَسَبُوهَا

(أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ )

\*\*\*نَسَاوِيهِمْ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ!

○أي: أم حسب المسيئون المكشرون من الذنوب المقصرون في حقوق ربهم.

بأن قاموا بحقوق ربهم و اجتنبوا مساخطه

و لم يزالوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم؟

أي: أحسبوا أن يكونوا

(سَوَاءٌ مَنِّيَاهُمْ وَمَمَائِهِمْ<sup>٤</sup>)

في الدنيا و الآخرة؟

\*\*\*يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ وَ الْكَافِرُونَ، كَمَا قَالَ:

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}

[الْحَشْرِ: ٢٠]

(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

○سَاءَ مَا ظَنُّوا وَ حَسِبُوا وَ سَاءَ مَا حَكَمُوا بِهِ

(\*\*\* أَنْ نُسَاوِيَ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَ الْفَجَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ فِي هَذِهِ الدَّارِ).  
 \*\*\* وَ قَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ  
 يُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ:-

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}  
 وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}

○ فَإِنَّهُ حَكْمٌ:-

١- يخالف حكمة أحكم الحاكمين و خير العادلين

٢- و يناقض العقول السليمة و الفطر المستقيمة

٣- و يضاد ما نزلت به الكتب و أخبرت به الرسل

بل الحكم الواقع القطعى أن :-

١- المؤمنين العاملين الصالحات لهم:-

النصر و الفلاح و السعادة و الثواب فى العاجل و الآجل كل على قدر  
 إحسانه

٢- و أن المسيئين لهم:-

الغضب و الإهانة و العذاب و الشقاء فى الدنيا و الآخرة.

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ )

بالحكمة و ليعبد وحده لا شريك له

(وَلِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ )

\*الميسر: من خير أو شر

○ ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة  
هل شكروا الله تعالى و قاموا بالمأمور؟

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )

\*الميسر: جزاء أعمالهم.

○ أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ  
 غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا  
 وَمَا يُلْهِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُنْفَخُ عَنْهُمْ أَيْتَنَّا  
 بِمِثْلِ مَا كَانُوا يَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى: {أَفَرَأَيْتَ}

الرجل الضال

{مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ}

فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه.

فائدة من القول المفيد

{وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ}

○ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية و لا يزكو عليها.

\*\*\*أضله الله لعلمه انه يستحق ذلك

أضله الله بعد بلوغ العلم اليه و قيام الحجة عليه

{وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ}

فلا يسمع ما ينفعه

{وَقَلْبِهِ}

فلا يعي الخير

{ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً }

تمنعه من نظر الحق

{ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ }

أي: لا أحد يهديه و قـد :-

١- سـد الله عليه أبواب الهداية

٢- و فـتح له أبواب الغواية

و ما ظلمه الله و لكن هو الذي ظلم نفسه و تسبب لمنع رحمة الله عليه

{ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }

ما ينفعكم فتسلكونه و ما يضركم فتجتنبونه.

\*\*\*كقوله { مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }

[الأعراف: ١٨٦]

{ وَقَالُوا }

أي: منكرو البعث

{ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ }

\*الميسر: إلا مرّ الليالي و الأيام و طول العمر

○أي: إن هي إلا عادات و جري على رسوم الليل و النهار يموت أناس

و يحيا أناس-

و ما مات فليس يرجع إلى الله و لا مجازى بعمله.

(وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ط)

و قولهم هذا صادر عن غير علم

{ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }

فأنكروا المعاد و كذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك  
و لا برهان.

إن هي إلا ظنون و استبعادات خالية عن الحقيقة

\*\*\*صحيح البخاري

٤٨٢٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ  
\*الصحيح المسند من أسباب النزول:-

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل و النهار

و هو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه:

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}

قال فيسبون الدهر

فقال الله تبارك وتعالى "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر

و أنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل و النهار"

\*\*\*قَالَ الشَّافِعِيُّ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ غَيْرُهُمَا مِنَ الْأُمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷺ:-

لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ": -  
 كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ،  
 قَالُوا: يَا خَيِّبَةَ الدَّهْرِ.  
 فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ،  
 وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
 لِأَنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ  
 فَلِهَذَا نُهَى عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ  
 لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ، وَ يُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ.  
 و لهذا قال تعالى:

{ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا }

\*الميسر:الذين قد هلكوا

{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

\* فيما تقولون.

○ و هذا جراءة منهم على الله حيث اقترحوا هذا الاقتراح  
 و زعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم  
 و أنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا  
 و هم كذبة فيما قالوا و إنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق

قال تعالى: { قُلْ }

\* الميسر: قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث:

(اللَّهُ)

سبحانه و تعالى

(يُحْيِيكُمْ)

في الدنيا ما شاء لكم الحياة،

(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)

فيها

○ وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم لعملوا له أعمالاً و تهيئوا له.

\*\*\* {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}

[البقرة: ٢٨]

أي: الَّذِي قَدَّرَ عَلَى الْبَدَاءَةِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَ الْأُخْرَى.

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّوم ٢٧]

{ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ}

أي: إِنَّمَا يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعِيدُكُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَقُولُوا:

{أَتُنْزِلُونَا بِأَنَّا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} [التَّغَابُن: ٩]

{لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمُ أَجَلْتِ. لِيَوْمِ الْفَصْلِ} [الْمُرْسَلَات: ١٢، ١٣]

{وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ} [هُود: ١٠٤]

وَ قَالَ هَاهُنَا: {ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}



\*الميسر: ثم يجمعكم جميعا أحياء إلى يوم القيامة

(لَا رَيْبَ فِيهِ)

لا شك فيه

{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }

\*الميسر: قدرة الله على إماتتهم، ثم بعثهم يوم القيامة.

أَي: فَلِهَذَا يُنْكَرُونَ الْمَعَادَ، وَ يَسْتَبْعِدُونَ قِيَامَ الْأَجْسَادِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا} [المَعَارِجِ: ٦، ٧]

أَي: يَرَوْنَ وَقُوعَهُ بَعِيدًا، وَ الْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ ذَلِكَ سَهْلًا قَرِيبًا.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ

﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ

إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٢﴾

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؕ)

\*الميسر: خَلَقًا وَ مُلْكًا وَ عِبَادِيَّةَ

○ يخبر تعالى عن سعة ملكه و انفراده بالتصرف و التدبير في جميع الأوقات

و أنه {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}

و يجمع الخلائق لموقف القيامة

(يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ)

يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق،  
و كانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقة بالباطل فبطلت في يوم القيامة،  
اليوم الذي تستبين به الحقائق،

و اضمحلت عنهم و فاتهم الثواب و حصلوا على أليم العقاب.  
ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة و هوله ليحذره العباد و يستعد له العباد

فقال: {وَتَرَى}

أيها الرائي لذلك اليوم

{كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ}

على ركبها خوفا و ذعرا و انتظارا لحكم الملك الرحمن.

\*سنن الترمذي ت شاكر ٢٣٨٢-

عن عُبَيْدِ بْنِ مُسْلِمٍ.....فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ  
بَيْنَهُمْ وَ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ،

فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ.....

{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}

\*\*\*كَقَوْلِهِ: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالتَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ} [الزُّمَرِ: ٦٩]

○ أي: إلى شريعة نبهم الذي جاءهم من عند الله،

و هل قاموا بها فيحصل لهم الثواب و النجاة؟

أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟

○ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى

○ و أمة عيسى كذلك

○ و أمة محمد كذلك

و هكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به،

○ هذا أحد الاحتمالات في الآية و هو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك

فيه

○ و يحتمل أن المراد بقوله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}

أي: إلى كتاب أعمالها و ما سطر عليها من خير و شر

(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

و أن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه

كقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}

\*\*\*كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ. بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ

بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [الْقِيَامَةِ: ١٣- ١٥] .

○ و يحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية

و يدل على هذا قوله: { هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ }<sup>٤</sup>

أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل

\*\*\*يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا

وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا

عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الْكَهْف: ٤٩] .

{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

فهذا كتاب الأعمال.

و لهذا فصل ما يفعل الله بالفريقين

\*الميسر: إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُ الْحَفْظَةَ أَنْ تَكْتُبَ أَعْمَالَكُمْ عَلَيْكُمْ.

فقال: {فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

إيماننا صحيحا و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات و مستحبات

{فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ}

التي محلها الجنة و ما فيها من النعيم المقيم و العيش السليم

\*\*\*صحيح البخاري

٤٨٥٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ،

فَقَالَتِ النَّارُ: أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبَّرِينَ،

وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ  
قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ:-

→ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي  
وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،  
وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤَهَا،  
فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا قَتْلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ  
فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهَنَّاكَ تَمْتَلِي وَ يَزُورِي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ  
وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا  
وَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا " (١)

{ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ }

أي: المفاز و النجاة و الربح و الفلاح

(الْمُبِينُ)

الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير و اندفع عنه كل شر.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا }

بالله فيقال لهم توبيخا و تقريبا:-

---

١ (تحتاج) تخاصمت و الله تعالى أعلم بذلك التخاصم.  
(أوثر) اختصت.

(المتجبرين) جمع متجبر وهو المتعاضم بما ليس فيه والذي لا يكثرث بأمره.  
(سقطهم) الساقطون من أعين الناس والمحتقرون لديهم لفقرهم وضعفهم وقلة منزلتهم.  
(من أشاء) ممن استحق العقوبة و اكتسب أسبابها

{ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنَالِ عَلَيْكُمْ }

و قد دلتكم على ما فيه صلاحكم و نهتكم عما فيه ضرركم  
و هي أكبر نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها،

{ فَاسْتَكْبَرْتُمْ }

و لكن استكبرتم عنها و أعرضتم و كفرتم بها فجئيتم أكبر جنابة

{ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ }

و أجرمتم أشد الجرم

فاليوم تجزون ما كنتم تعملون و يوبخون أيضا بقوله:

{ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ }

منكرين لذلك:-

{ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ }

\*\*\*لا نعرفها

{ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا }

\*الميسر: و ما نتوقع وقوعها إلا توهمًا (\*\*أي مرجوحا)

{ وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ }

\*الميسر: و ما نحن بمتحققين أن الساعة آتية

فهذه حالهم في الدنيا و حال البعث الإنكار له و رد قول من جاء به

\*جاء في القول المفيد:-

لأن تحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي  
لأن المعاصي صادرة عن الهوى و هذا نوع من الشرك  
قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ} سورة الجاثية: ٢٣

---